الديستوبيا في شعر عبدالحميد الديب

د/أحمد الديداموني محمد إسماعيل
مدرس الأدب الحديث والمقارن بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة قناة السويس

الملخص

تقوم فكرة الديستوبيا على الواقع المرير المخيّب لأصحابه، متنبئة بمستقبل قاتم، في مجتمع يتصف بالخبث والاستبداد، تنقل صورة خبيئة عن ظواهر واقعية، تهتم بسليط الضوء على معالم فساد المدن في الأعمال الأدبية، فهو أدب تشاؤمي دفاعي ينذر بوجود خطر على الفرد خاصة، وعلى المجتمعات الإنسانية عامة، في المدينة الديستوبية يتخلى الفرد فيها عن المبادئ الأخلاقية التي تندثر في ظل سيطرة الماديات، فالديستوبيا أو اليوتوبيا المضادة نابعة من المتغيرات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والنفسية المنتشرة في مجتمع من المجتمعات، يتخذه الشاعر أرضا خصبة ليعبر عن الظواهر الديستوبية في البنية الشعرية، يعد شعر عبدالحميد الديب من الأدب الديستوبي الذي يتطرق فيه إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والأخلاقية لمدينة القاهرة، من هنا جاء هذا البحث ليكشف عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والنفسية التي تعزز من الديستوبيا في المجتمع، وكيفية ظهورها في شعر عبدالحميد الديب، والتي ولدت لديه الشعور بالغربة والضياع الناتج عن هذه الأوضاع.

الكلمات المفتاحية:الديستوبيا، اليوتوبيا المضادة، عبدالحميد الديب، الشعر العربي الحديث.

Abstract

The idea of dystopia is based on the bitter and disappointing reality of its owners, predicting a bleak future, in a society characterized by malice and tyranny. It conveys a hidden picture of realistic phenomena. It is interested in shedding light on the features of urban corruption in literary works. Humanity in general, in the dystopian city, the individual abandons the moral principles that perish under the control of materialism. Abdul Hameed El-Deeb is one of the dystopian literatures in which he deals with the social, political and moral conditions of the city of Cairo. From here, this research came to reveal the social, political, moral and psychological conditions that promote dystopia in society, and how it appears in the poetry of Abdel-Hamid El-Deeb, which gave him a feeling of alienation and loss resulting from these modes

المقدمة

غالبا ما يستلهم الفن مادته من الواقع المعيش؛ لأن الفنان يجد في الواقع صورة حية لذاته، وتعد المتغيرات الاجتماعية أحد مرتكزات الشعر الحديث، فالحضارة والمجتمع لها دور مهم في بناء هيكل القصيدة؛ لأن الأحداث التي تسردها الأبيات تقع معظم أحداثها في المدينة، وإن كان موقعها القرية فإنها لا تخلو من أنوار المدينة بحيث تتجلى القرية وكأنها انزياح من المدينة في أغلب الأحيان.

فهناك اتصال وثيق بين الأدب والمجتمع؛ لأن الأدب أساسه شخصيات مبدعة تحيا في المجتمع، بحيث يقوم المبدع بإعادة تركيب أحداث المجتمع بما يحدث الأثر الفني لدى المتلقين، ولا يقتصر الشعراء على نقل الواقع المعيش كما هو، بل قد يخلقون أحداثهم المثالية عن طريق اليوتوبيا أي المدينة الفاضلة؛ لأن اليوتوبيا تؤسس خطاب اجتماعي في الشعر والرواية.

أما الديستوبيا فهي نقيض اليوتوبيا، فهي تنظر إلى المجتمع من زاوية مضادة عن زاوية اليوتوبيا؛ لأنها تبحث عن المكان المظلم الموحش المليء بالفساد الأخلاقي، والقتل، والتخريب والشذوذ.

ومن خلال تتبع الإنتاج الشعري الحديث والمعاصر، يتبين لنا أنه لا يمكننا تجاهل الشعر الديستوبي الذي يهتم برسم لوحات فنية عن المجتمع العربي الذي عانى من تغيرات اجتماعية وسياسية ونفسية وأخلاقية، لدرجة أن الديستوبيا اقتربت من أن تكون ظاهرة عربية من الدرجة الأولى.

ونتيجة للمجتمع الديستوبي الذي عاش فيه الشعراء، أخذوا يعبرون عن هذا المجتمع من زاوية مأساوية، تتمثل في الأنظمة المستبدة والفوضى الأخلاقية والفقر والتسول والخسة والنذالة، فهؤلاء الشعراء يبحثون عن اليوتوبيا المفقودة برفضهم للواقع المأساوي، فالشعر الديستوبي الحديث يحاول البحث عن بلاغة جديدة للمهمشين تختلف عن النماذج القديمة.

وفي الغرب نجد أن الأدب الديستوبي قديم إلى حد ما، إلا أنه يعد حديثا في العالم العربي الذي عاصر أنواعا أخرى من الأدب الفانتازي مثل الأدب العجائبي.

يهتم الأدب الديستوبي بتصوير جزء من حياة الأفراد وأوضاعهم في مجتمع من المجتمعات يرى الشاعر أنه أرضية خصبة لشعره، والقاهرة هي المجتمع الذي أثار مخيلة الديب، ليعبر بشعره عن مظاهر الديستوبيا فيها.

وبسبب أهمية العناصر الاجتماعية في الأدب نهدف إلى دراسة ديوان عبدالحميد الديب وفقا للعناصر الديستوبية، ولنصل إلى هدف الدراسة ينبغي أن نتعرض إلى حياة الشاعر عبدالحميد الديب والأدب الديستوبي، فهذا البحث يهدف إلى الكشف عن مظاهر الديستوبيا في شعر الديب، وتنبع أهميته من عدة أسباب، أهمها:

– أن الديستوبيا ظاهرة بارزة في شعر الديب، إلا أنها لم تلق عناية الباحثين، ولم تحظ بأية دراسة.

– الكشف عن جانب مهم من جوانب شعر الديب، وتسليط الأضواء على شاعر لم ينل الاهتمام الكافي من الدارسين.

تساؤلات البحث

- ما العوامل الإنسانية والاجتماعية التي تعزز من الديستوبيا في المجتمع؟
- كيف ظهرت الديستوبيا في شعر عبدالحميد الديب؟

أما **الدراسات السابقة** التي تناولت ظاهرة الديستوبيا في الدراسات الأدبية من أهمها:

– أحمد الحسيني عبدالرزاق ناصر: ثنائية اليوتوبيا والديستوبيا في الرواية العراقية دراسة سيميائية، مجلة بغداد، كلية الآداب، ع١١٢، العراق، ٢٠١٥م.

– د. أسماء إبراهيم حسين شنقار: الرواية الديستوبية المصرية (مظاهرها ولغتها)، مجلة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، العدد الخامس، الجزء الثالث،دمنهور، ٢٠٢٠م.

– إياد نيسي: تجليات الديستوبيا وملامحها في شعر علي كنعان، مجلة إضاءات نقدية، السنة العاشرة، ع٤٠، شتاء ١٣٩٩ش/ كانون الأول، إيران، ٢٠٢٠م.

– نجدي عبدالستار محمد: تشكل الشخصية في الرواية الديستوبية، المجلة العربية مداد، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، ع٩، ٢٠٢٠م.

– د. محروس محمود القللي: ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية دراسة مقارنة، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، مج١٣، ع١(يناير)، ٢٠٢١م.

– د. محمد عبدالناصر العنتبلي:تجليات الديستوبيا في رواية السنجة لأحمد خالد توفيق رؤية تحليلية نقدية، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، جامعة الأزهر، ع٢٥، الجزء الرابع عشر، سوهاج، ٢٠٢١م.

– د. سعد داحس ناصر: ضدية اليوتوبيا والديستوبيا قراءة في رواية قواعد العشق الأربعون لإليف شافاق، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج١، ع٤٤، العراق،٢٠٢٢م.

أما الدراسات التي دارت حول الديب فهي قليلة، فقد دارت كلها حول حياته وشعره، مثل:

– عبدالرحمن عثمان: الشاعر البائس عبدالحميد الديب، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ت.

– حلمي سالم: عبدالحميد الديب شاعر البؤس تأبط شرا الحداثة، مجلة أدب ونقد، مج١٠، ع٩١، مصر،١٩٩٣م.

– محمد رضوان: ديوان شاعر البؤس عبد الحميد الديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

– محمد رضوان: اعترافات فيلسوف الصعاليك عبدالحميد الديب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م.

– عبدالكريم محمد مغاوري: وطنية عبدالحميد الديب، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، ع٣٤، ٢٠١٧م.

– عطية حنفي علي عطية: فن السخرية بين أبي دلامة وعبدالحميد الديب، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق،ع١٧، جامعة الأزهر، ١٩٩٧م.

أما منهج البحث: يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال رصد الظواهر الديستوبية في شعر عبدالحميد الديب ووصفها وصفا دقيقا خاليا من المبالغة أو التقليل، ومن ثم ذكر خصائص هذه الظواهر وارتباطها بالظواهر الأخرى، والوصول إلى صورة لأفكار الديب الديستوبية في شعره، وكيفية طرحها في إطار القضايا اليومية التي تدور في المجتمع.

وقد اعتمدت الدراسة على ديوان عبدالحميد الديب الذي جمعه محمد رضوان، المجلس الأعلى للثقافة؛ وذلك لأنه يعد أحدث جمع لشعر الديب، فقد نُشر سنة ٢٠٠٠م، فضلا عن أنه يعد أكثر الدواوين تنقيحا، فقد جمع فيه كل أشعار الديب من الدواوين التي سبقته.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى أربعة محاور يسبقهم مقدمة وتمهيد، وتعقبهم الخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

أما **المقدمة** فقد تناولت فيها الهدف من البحث وأهميته والمنهج المتبع وخطته.

والتمهيد جاء بعنوان **ديستوبيا المدينة في الشعر**، وقد انقسم إلى:

أولا: مفهوم الديستوبيا.

ثانيا: نبذة عن حياة عبدالحميد الديب.

المحور الأول: جاء بعنوان: **الديستوبيا الاجتماعية في شعر الديب:** تناولت فيه أهم ملاح الديستوبيا الاجتماعية في شعر الديب المتمثلة في **(الفقر، الشرد والتسول، قطع صلة الأرحام).**

المحور الثاني: جاء بعنوان: **الديستوبيا السياسية في شعر الديب:** تناولت فيه ملامح الديستوبيا السياسية المتمثلة في **(غياب رقابة الدولة، فساد قادة الدولة، عنف الساسة ضد الشعب)**

المحور الثالث: بعنوان: **الديستوبيا الأخلاقية في شعر الديب:** تناولت فيه ملامح الديستوبيا الأخلاقية في شعر الديب المتمثلة في **(الطمع والوصولية، الغيبة والنميمة والسخرية، البعد عن تعاليم الدين، البخل والمراء).**

المحور الرابع: بعنوان: **الديستوبيا النفسية في شعر الديب:** تناولت فيه ملامح الديستوبيا النفسية المتمثلة في **(اليأس لعدم تحقق الآمال، الحزن والألم)**

الخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيت

د.أحمد الديداموني محمد إسماعيل
مدرس الأدب الحديث والمقارن بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة قناة السويس
Dr.ahmedeldaidamony@gmail.com

التمهيد (ديستوبيا المدينة في الشعر)

وينقسم إلى:

أولا: مفهوم الديستوبيا

كلمة ديستوبيا (Dystopia) مأخوذة من اليونانية بمعنى المكان الخبيث، والعمل الديستوبي يحاول أن ينتج أسوأ السيناريوهات للمجتمع، وأقسى حالاته، والديستوبيا تعني أيضا اليوتوبيا المضادة التي ترمي إلى نقد السلبيات الموجودة في الأفكار المثالية؛ لذلك تميل الأعمال الديستوبية إلى "تضمين بعد نقدي لاذع يرمي إلى التحذير من العواقب المحتملة لتوجهات معينة في عالم الواقع"(١).

وقد انتشر مصطلح الديستوبيا في الكتابات الأدبية الحديثة، ويعني المدينة الفاسدة أو المكان المظلم الموحش المملوء بالفساد والخبث، فالديستوبيا تعني كل ما هو خَرِب وممقوت؛ وبالتالي فهي نقيض اليوتوبيا التي تعني "المكان الفاضل الذي ينشد السعادة لسكانه"(٢)، وبالتالي فإن الديستوبيا مجتمع فاسد يحرم على قاطنيه العيش في سعادة وكرامة.

ومن الجدير بالذكر أن النقاد استعملوا مصطلح الديستوبيا في وصف الأعمال الأدبية التي ترسم لوحة فنية لمجتمع مملوء بالفساد والمظاهر المادية، والنزاعات الاجتماعية، والدكتاتورية السياسية، وتشوه الأخلاقيات، وتدهور المعنويات.

يعد الفيلسوف جون ستيوارت (١٨٠٦- ١٨٧٣) أول من استخدم مصطلح الديستوبيا "في خطاب له أمام البرلمان عام ١٨٦٨م"(٣)، ويركز الأدب الديستوبي على رسم صورة من جانب حياة الفرد داخل مجتمع يسوده الخوف والفوضى، وانتشار القتل والتخريب، مجتمع يعاني فيه أفراده من الفقر والأمراض، فهي تهتم بالعشوائيات التي يعيش أفرادها في ذل ومهانة " وتتنوع عناصر الديستوبيا في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى البيئية"(٤).

فالديستوبيا تهتم " بأفكار أساسية تنطوي على تعارض وصراع بين الأحكام الاجتماعية والرغبات الفردية، والاحكام الاجتماعية في المدينة الفاسدة لها اليد العليا في إدارتها مثل

الكنائس والمدارس والشرطة والوزارات التي تقولب أفكار الأفراد، وتحدد وجهات نظرهم"(٥).

في المجتمع الديستوبي تُنْزع حرية أفراده، فيعانون من القلق، ودائما تتجه رغباتهم نحو الانتحار أو طلب الموت من الله سبحانه وتعالى، فالديستوبيا تهتم بتحليل الأعمال الأدبية التي تشير إلى قضايا الفساد الأخلاقي، وإدمان المخدرات، وانتشار الخرافات، وزنا المحارم والشذوذ، وجرائم العنف ضد النساء، من أجل الاستشراف بالمستقبل في المقام الأول.

فالأعمال الأدبية الديستوبية تتسم بالمزج بين الواقع والخيال، للوصول إلى فكرة نهاية الإنسان في عالم مملوء بالفساد والخراب والدمار "أيتعلق الأمر في خطاب الديستوبيا بأدب ذي خصائص مميزة، أم بنوع فرعي للخيال العلمي، أم بظواهر ومحددات تطبع عقدًا ما وتُولد خوفا من الآتي وتوقعا كارثيا؟ غالبا ما يستحضر الخطاب الواصف للديستوبيا هذه العناصر الثلاثة في تأمل الموضوع، مغلبا إحداها، وغالبا ما يستحضر أيضا التقابل بين الديستوبيا واليوتوبيا، باعتبار هذا التقابل إضاءة لحمولة كل منهما"(٦).

ثانيا: نبذة عن حياة عبدالحميد الديب

ولد الشاعر عبدالحميد الديب عام ١٨٩٨م بقرية كمشيش إحدى قرى المنوفية، وقد نشأ الديب في أسرة فقيرة " فشب وترعرع بين البؤس والفاقة والحرمان"(٧)، فأبوه كان يعمل جزارا للقرية في مواسمها، وقلما ما كانت قريته تأكل اللحم، وحينما بلغ الخامسة من عمره أعجب بشاب في قريته اسمه (سالم)، وكان هذا الشاب يمتطي جواده في خيلاء وعجب، والإعجاب يحوطه من كل جانب، فهو يملأ العين جمالا والقلب إجلالا، فرأى الديب في هذا الشاب بطله الذي ينشده، وكثيرا ما تمثل هذا الشاب في أحلام الصبي، غير أن المنية عصفت بالشاب، وبموت هذا الشاب أصيب الديب بأول كارثة في حياته، التي أثرت في كيان الديب، لدرجة أنه "ظل يردد اسم هذا الشاب حتى قضى أجله، فموت الشاب قد فجر في قلبه ينابيع الأسى والحزن"(٨).

أرسله أبوه إلى كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم، "فحفظ القرآن وجودة في فترة وجيزة وكان فتى متمردًا عنيفا...، وفي تلك الحقبة من حياته كان ينظم شعرا ساذجا أشبه بالمواويل يهجو به أقرانه ويسخر فيه من الشيخ ومن العريف، والصبية حوله يضجون بالضحك، وكثيرا ما سببت له هذه المقطوعات متاعب عدة، فكان يضرب بالفلقة ولكنه لم يكف عن الإمعان في هذا المجال الساخر"(٩).

"وبسبب فقر الأسرة المدقع ألحقه أبوه بدكان أحد جزاري القرية ليعمل صبي جزار... فشب عبدالحميد الديب وهو يرى الفقر يحيط به من كل جانب فترسبت في أعماقه صور أسرته وهي تعاني ضروبا من ألم الجوع والحرمان والبؤس"(١٠).

" وفي طفولته كان يشعر بمرارة في أعماقه وهو يرى نفسه في الأعياد يرتدي ملابس رثة، حافي القدمين، جائعا، على حين كان يرى بقية الصبية يمرحون ويلهون، وهكذا شب الديب شاعرا حزينا باكيا"(١١).

وفي مطلع العقد الثاني من عمره عام ١٩٢٠م أرسله أبوه إلى الأزهر؛ لينهل منه العلم، وساعده في ذلك بضعة قروش كان يتسلمها من الأزهر، "وفي حي الحسين قطن بحجرة متواضعة في زقاق قصر الشوق، وعاش حياة بائسة في تلك الحقبة من حياته، فكثيرا ما ينام على الطوى لرقة حاله وضيق ذات يده، فكان يمضي وقته في القراءة المتصلة وتسجيل مشاعره في شعر رقيق حزين"(١٢)، وهناك اطلع على كتب الأدب واللغة ودواوين القدماء، وحينما ضاق به الحال انتقل إلى مدرسة دار العلوم، فقد كانت المدرسة وقتذاك تصرف مكافأة شهرية لطلابها، وهناك تألقت موهبته وازدادت ثقافته، واتسعت مداركه، ثم أُخرج من التعليم قسرا؛ لضيق حاله محاولا البحث عن وظيفة ليقتات منها، وهناك صادف من أحداث ونوب "وهكذا صنعت منه الأيام شاعرا شعبيا لا زيف فيه، وصاغت منه فنانا مصريا يهتف بآلام الدهماء، ويترجم أحزان الحفاة والمستضعفين"(١٣).

وقد بدأت محنة الشاعر "حينما آمن بالشهوات واتخذها مذهبا له، فلجأ إلى السموم البيضاء في حي (الزّهار) يلتمس فيها الحياة الهادئة السعيدة، وانتهى به الأمر إلى دخوله السجن

أكثر من مرة بتهمة السكر والعربدة والتشاجر"[١٤]، ظل الديب يعاني من البؤس والشقاء والإدمان حتى أدخل مستشفى الأمراض العقلية، وظل بها حتى تخلص من الإدمان.

"أصبح الديب شريدا صعلوكا من صعاليك الشعر بلا مأوى، وشرع يجوب شوارع القاهرة يضنيه البؤس ويعذبه الطوى ولا يجد إلا قلما وورقا يسجل فيه أحاسيسه الحزينة اليائسة، فيبدأ الديب حياة الصعلكة واللجوء إلى طلب المنح والعطايا من ذوي القدرة"[١٥].

"وكان من دأب الشاعر أن يختلق للصور الخيالية من شعره حادثا يراه مناسبا للمقام، ... وكان يضيف إليها في كل جلسة شيئا جديدا لم يكن الخيال قد أسعفه من قبل، فإذا عنّ لجليس أن يذكره بما كان قد روى آنفا، انفجر ضاحكا واعتذر بأنه الخيال الذي لا حيلة له فيه"[١٦].

"وفي عام ١٩٤٣م فاضت روح الديب إلى بارئها"[١٧]، مخلفا وراءه ديوانا رقيقا من الشعر يصور مأساته ومأساة قومه.

المحور الأول: الديستوبيا الاجتماعية في شعر الديب

تعد الديستوبيا الاجتماعية من أبرز ألوان الفساد المجتمعي بوجه عام، فتتمثل في فقد العلاقات ذات المعنى بين الفرد ومجتمعه وشعوره بالتعاسة بسبب الفاقة والتشرد الناتج عن الطبقية وسوء عدالة التوزيع، وتتمثل الديستوبيا الاجتماعية في انتشار الفقر والتسول، والانفصال عن قيم المجتمع ومعاييره، وضعف الروابط الاجتماعية بين الأفراد، وفقدان الألفة، **ومن مظاهر الديستوبيا الاجتماعية في شعر الديب:**

١- الفقر

مما لا ريب فيه أن الفقر والحرمان من القضايا البارزة التي طبعت التجربة الشعرية للديب، لذلك كان متفردا في عرض هذه القضية من خلال التنبؤ بما سيواجه المجتمع من أهوال الجوع والفقر والحرمان، ففي الظاهر يستشعر المتلقي كأن شاعرنا عراف، وفي الحقيقة ما ينقله الديب إلينا صورة راهنة للمجتمع، التي لامست نفسه من حرمان ومعاناة لم يلقها شاعر آخر.

فالديب ينظر للدهر على أنه المانع دون وصوله لأهدافه، فيحمله مآسيه ومعاناته النفسية المتراكمة بفعل الانتكاسات التي تعارض طموحه، وكأن الدهر هو المتصرف في الأمور، والمسئول عن تلك الخيبات التي رافقته، فراح يفرغ سخطه عليه، ويبكي صروفه، فعبر عن آلام نفسه ومرارة الواقع، يقول:

مرّوا على الدار يوم العيد ضيفان يرجون منها نداها كالذي كانا
والدار حين رأتهم مقبلين لها تعرورت في البكا أهلا وبنيانا
يا معشر الديب وافي كل مغترب إلا غريبكم في مصر ما بانا
ذبحتم الشاة قربان لعيدكم والدهر قدمني للبؤس قربانا[١٨].

يعبر شاعرنا عن فقره الشديد، حيث يمر عليه عيدان ولا يجد ما يسد رمق جوعه، فينقل للمتلقي صورة مفعمة بالفاقة والحرمان، حيث يقدم المسلمون الشياه في الأعياد قربانا لله، أما الدهر فقد قدم شاعرنا قربانا للشقاء والتعاسة، فيعتمد على النداء ليجلي مكنونات نفسه، وما يلتصق بها من أسى وألم ومرارة، يتوجع من مناصبة الدهر العداء له، فهو يكشف له كل يوم عن مصيبة جديدة تدق بابه، فالنوائب عليه تترا ولا تتوقف، تحاصره من كل صوب، كأن الدهر يعانده ويقف له بالمرصاد، ويجعل منه غاية لمآسيه، فيشكو من استهداف العباد والدهر له بحلقات لا تنتهي من المصائب والهموم، يقول:

ليت العباد كلاب إن كلبتنا لم تزل لحفاظ الود عنوانا
تحملت قسطها في البؤس صابرة لم تشك جوعا ولم تستجد إنسانا
لم يترك الدهر إلا شيخة عكفوا من فاجعات الردى صما وعميانا
من كان يحسدني فليرتقب سحرا أني على الجوع أطوي الأرض حيرانا
ليلتمسني لدى الخمار يحبسني في القسم آن وفي حانوته آنا[١٩].

فصراع شاعرنا مع النوائب غير متكافئ، فهي تكبله بالشكال، وتكلفه الجري ليل نهار دون طائل، وهنا أساس الشقاء والألم، ومبعث تأزم علاقة الشاعر الاجتماعية، فيبدأ بأداة التمني (ليت) للدلالة على أن شاعرنا أضحى مستهدفا من الناس يرمونه بالمصائب والهموم، "قست الطبيعة على الديب فلم تزوده بما تزود به الحي الكامل العامل بالكفاية

الكافية لابتغاء العيش السائغ الهنئ"[٢٠]. فيعبر عن إحساسه بالعجز والانكسار أمام هيمنة النوائب، يقول:

يا محنة أكل الشقاء شيبتي فيها وهجنت الخطوب عريقي
ولبست باليها بعرسي مكرها وشربت آسنها عتيق رحيق
فبكل مضمار سبقت وإنني لأعيش عيشة خاسر مسبوق
محن لها عزم الجريء وصبره والصبر أجمل ما يفرج ضيقي[٢١].

يعتمد الديب على الثنائيات المتضادة ليبرز مدى المعاناة والشقاء الذي يحيط به "يشهد الشاعر كل هذا وهو ذاهل عن نفسه، ذاهب عن وجوده، فإذا تلفت إلى حالته وجدها كما عهدها من قبل: رثاثه وإفلاس وتجهم وأحزان"[٢٢]، فيصور شاعرنا بؤسه وشقاءه، واشتداد النوائب عليه حتى أحالت حياته إلى جحيم لا يطاق، يقول:

بواد كدار الخلد بر المنازل شقيت فمالي لا أفوز بطائل
أقضي به ليله ونهاره معيشة أفاق ووحدة ثاكل[٢٣].

يشخص الديب المحنة ويتوجه إليها بالخطاب، فيشكوها ضيقها ومآسيها، وأحوالها المنكسة التي تعتصر أصحاب الفضل والكرم، وتنصب لهم العداء، فيقف شاعرنا عاجزًا أمام تلال المحن، بالإضافة إلى ابتلائه بأصدقاء لئام لا يقدر على العيش معهم، فهذا هو أساس محنته وفقره، يقول:

وأجلس الليل في صحبي أسامرهم وكلهم بمجالي رقتي حفل
حتى إذا سلموا للعود وانصرفوا سريت جوعان يفري عزمي الكلل
جوعان يا محنة أربت على جَلَدي كأن ليلي بيوم البعث متصل
فإن تطلبت عيشي مت من كمد وإن تطلبت حيني يبعد الأجل[٢٤].

فيجلس الديب مع رفاقه الفقراء يسامرهم، وحينما يحين وقت الفراق، بأن يذهب كل منهم إلى بيته، ينهش الجوع أمعاء شاعرنا، فهو أكثرهم فقرا وكمدا، ومغزى غضب وثورة الديب ثراء طائفة مجتمعية على حساب بؤس وشقاء بقية الطوائف، يقول:

عيد تطالعني والعيش منكود لأنت يوم الأسى والحزن يا عيد

يجدد الناس من لبس ومن فرح وعندنا للأسى والهم تجديد
لو أنصف الناس ما ضحوا بشاتهمو بل كان قربانهم للمُعْتَفي جود(٢٥).

فيوجه الشاعر خطابه للعيد متعجبا ومستنكرا من مجيئه، فقد جاء بالحزن والألم والشقاء، فالناس يجددون لباسهم وحليهم وهو يجد الشقاء والألم، فيطلب شاعرنا من المضحين بشاتهم جزءا منها، لاشتهاء نفسه إلى لحم الضأن، ثم ينتقل إلى تصوير سلطة القدر المؤثرة في حياة الناس، هذا الدهر الذي يلاحق الكرام بمصائبه، وينحاز للئام فيكرمهم، فشاعرنا يشعر بعداء القدر تجاهه، يقول:

أسلمت للقدر المذل سلاحي وجرت عليّ مشيئة السّفاح
مستضعف يُحْني عليّ كأنني يتيم يدلّلُ في حجور سماح
يا محنة أكل الشقاء شبيبتي فيها ومزقت الخطوب جراحي
ولبست باليها بعُرسي مكرها وشربت آسنها معتق راح
في أسرة ترجو المعيشة قنعا بالخبز مؤتدما بماء قراح(٢٦).

يستهدف القدر شاعرنا بنوائبه المتتالية، فتتلاعب به كما تتلاعب الخمر بعقول شاربيها، فيعترف بعجزه أمام سطوة القدر الذي كدر حياته، وهتك مضجعه، فتحولت معيشته جحيما وعذابا، فيقف شاعرنا وحيدا مفتقدا للأهل والأصدقاء أمام إذلال القدر له، الأمر الذي جعله ينعكس على نفسه بالحزن والألم والمرارة، يقول:

أفي حجرتي يا رب أم أنا في لحدي ألا شد ما ألقى من الزمن الوغد
وهل أني حي أم قضيت؟ وهذه إهابة إسرافيل تبعثي وحدي
لكم كنت أرجو حجرة فأصبتها بناء قديم العهد أضيق من جَدي
تراني بها كل الأثاث فمعطفي فراش لنومي أو وقاء من البرد
وأما وسادتي بها فجرائد تجدد إذ تبلى على حجر صلد
تساكنني فيها الأفاعي إلا بأرضها فأرجله أمضى من الصارم الهندي
تحملت فيها صبر أيوب في الضنا وذقت هزال الجوع أكثر من غاندي(٢٧).

فقد عاش الديب في حي الحسين "في زقاق قصر الشوق حياة بائسة وكثيرا ما كان ينام على الطوى لرقة حاله وضيق ذات اليد"[٢٨]، ومما يبرز فاقة أهل مدينة القاهرة، ما نقله الشاعر إلينا حينما سرق لص لحافه البالي "حين أشفق عليه بعض أصدقائه في مرضه فحمل إليه غطاء باليا يتقي به صولة البرد في مرضه، وقد فرح الديب بهذا اللحاف حتى عدا عليه لص فقير حرم الديب من دفئه"[٢٩]، فيقول:

لحافي وهل غير الهباء لحافي؟ بقية نسج دارس ونداف
أطاف به لص فقير كعيشتي فيا بؤسها من هجرة ومطاف
فليتك يا لصي الجريء وجدتني غنيا وسعدي في الحياة موافي
ويا ليتني ما كنت صيدك إنما سرقت لحافي جاهدا وشغافي

"فقد تمكن الشاعر البائس من الحصول على غطاء لحاف يتدثر به في ليالي الشتاء الباردة أهداه له أحد أصدقائه، ولكن النحس يلازمه فيسطوا عليه أحد اللصوص، كأن اللص لم يجد إلا الديب ليسرق لحافه الوحيد"[٣٠]، فالأبيات السابقة تقطر أسى عميق نابع من نفس الديب تجاه نوائب الدهر، فيطلق آهات، ليرسم لوحة سوداوية قاتلة، فإطارها من هموم قاسية نابعة من أعماق شاعرنا، فالدنيا قد أظلمت في عينيه، والذي يزيد جرحه أن أقرانه هم نبع شقائه، فهم الأداة التي يستخدمها الدهر في القضاء عليه، يقول:

إيه يا فصل الشتاء يا عدو الفقراء خانني فيك غذائي خانني فيك كسائي
حين عز الدفء في داري وفي دور الأصدقاء قلت لله تعالى اجعل النار جزائي[٣١].

فالفقر يمثل الهاجس الأكبر في حياة الديب، وربما تولد عن الحرمان والفاقة التي لقيها في قريته كشميش في مطلع حياته، فأخذ على عاتقه تبني هذه القضية (الفقر)، يقول:

ثيابه كأمانيه ممزقة كأنه وهو حي فوقه كفن
هو الهدي صرفتكم عنه محنته إن العزيز مهين حين يمتهن
ألا فصونوه من أرزائه كرما ولا تخلوه يوري شره الزمن
فرب عزم يثير البؤس فيصله فينبري لسبيل الشر لا يهن[٣٢].

فشاعرنا يحاول استثارة القارئ للانتفاض ضد الفقر، وذلك حينما يصطدم النص بالمعـــاني الإنسانية السامية؛ من خلال رسم واقع مزري للحياة التي يعيشها، فقد حرمه المجتمع مـــن أن يحيا حياة هادئة مطمئنة معتدلة، بل ألقاه في مرقة الجوع والمهانة، يقول:

ثيابي كمصطـــاف الغنـــى نوافذا ومشتى الفقير ابن السبيل هشيما!!
ولي غرفة كالقبر لم تحو أرضها سواي أثاثا كالهبـــــاء قديما(٣٣).

٢- التسول والتشرد

يلقي شاعرنا الضوء على الوضع الاقتصادي السيء بتسليط الضوء على حياة المهمشـــين، فيختار نفسه مثالا للتسول، ليُرينا أن هناك كثير من المتشردين يعيشون في فقر وتســـول، فالديب ينتمي للشوارع والأزقة أكثر من انتمائه للشقق والبيوت، فهـــو جـــار للأرصـــفة والطرقات، يحمل بؤس الفقراء والمهمشين المطحونين، معانيا من الفاقة واليأس إلى أبعـــد حد.

والفقر من القضايا المهمة التي قضت مضجع الديب، فقد عانى من الحرمان أشده، لدرجة أنه لم يجد حرجا من التعبير المباشر عن معاناته الذاتية التي تمتد لتلامس المعاناة العامة، فيضع يديه على مواضع الألم؛ لأن الواقع أكثر قسوة مما تتوقعه مخيلة المتلقي، وحينمـــا يرسم شاعرنا أبعاد المجتمع، فإنه يجسد حجم النوائب والنوازل التي يعيشها وطن يقتـــات الجوع والحرمان، فيعبر عن ديستوبيا المدينة التي يكثر فيها التشـــرد، فيصـــور معاناتـــه وتشرده وضيق الحياة، فقضى شبابه في فاقة وتشرد، فلم يجد في شبابه ســـوى المعانـــاة والألم، فيطلق صرخات بأن من كان شقيا في شبابه، فلا ميزة لهـــذا الشـــباب؛ لأن هـــذا الشباب حرب على الرجل مثل شيخوخته، فيقول الديب:

ضاقت به الدنيا فكن رحبا به قد ذل من غدر الزمـــــان وريبـــه
لا تنكروا الشكوى على متبرم قلق الحياة كمن يشـــــاك بثوبـــه
أنا لا أرى لي في شبابي لذة لهفي على مرح الشبـــــاب وعجبه
من كان توأمه الشقاء وصِنْوَه فشبابـــــه حرب عليه كشيبـــه(٣٤).

فقد أصبح "الديب شريدا صعلوكا من صعاليك الشعراء بلا مأوى، وشرع يجوب شـوارع القاهرة يضنيه البؤس ويعذبه الطوى، ولا يجد إلا قلما وورقة يسجل فيها أحاسيسـه"(٣٥)، فالديب يفخر بصبره الذي يلجا إليه في مجابهة نوازل الدهر، الأمر الـذي يمـنح نفسـه الاطمئنان وبعض الهدوء، يقول:

شكوت إلى أن قيل قد ذل واجتدى وأصبحت لا صوتا أرجى ولا صدى
من الظلم تحطيم الحسـام لأنـه بكل جهاد في الحيـاة تجـردا
شكوت وما شكواي ضعف وذلـة فلسـت بمستجـد ولا طالبـا يدا
ولكنني أُفحمت ظلـما بمنطـق من الدهر لم تبلـغ غباوتـه مـدى(٣٦).

وقد استخدم الديب المفارقة استخداما راقيا ليعبر عن ديستوبيا المجتمع، وهـذه المفارقـة ليست نابعة من سخريته من المجتمع، وإنما من حزنه وألمه على الحال التي وصل إليها، ذلك المجتمع الذي فقد العدالة والمساواة والإثار، وتستعر نقمة شاعرنا على المجتمع حينما يشعر بالظلم على وعيه وحقه المستمد من عبقريته، فلم يقدر أحد منزلته، فقد سادت هيمنة الغوغاء على مقدراته قسرًا، يقول:

يا ذَبِحِي الشاة في أفراح عيدكمو هلا بعثتم لنا من لحمها قطعـا
يا لابسين جديدا من ثيابكمـو هلا بعثتم لنا المتروك والرقعـا
رميتموني بأخـلاق مجرّحـة حتى رأيت مقامي بينكم وضـعا(٣٧).

إن تجربة الفقر والتسول تجربة قاسية عانى من جرائها شاعرنا ما عانى، حين طوحت به الأقدار وجعلته غرضا لأسهم الازدراء، فحينما اطمأنت نفسه لوظيفة يقتات مـن راتبهـا، فوجئ أن راتبها لا يسمن ولا يغني من جوع، فأضحى كمن يفـتح الـدروب بجوارحـه وينحت الصخر بأظافره، فنهشت آلام التسول كبده، وقصم التشرد قلبه، هكذا ظل مفتقـدا السعادة سواء أقبلت عليه الدنيا أم أدبرت، يقول:

بالأمس كنت مشردا أهليا واليوم صرت مشردا رسميا(٣٨).

ومما لا شك فيه أن جذور التسول قد تغلغلت في نفس شاعرنا، قلمـا اسـتطاع بوسـعه الانسلاخ عنه، فما أعجب مجتمعه، وما أعمق مأساته "فقد ظل شريدا طريدا إلى أن أنعـم

الله عليه بوظيفة في وزارة الشئون الاجتماعية ولما لم يجد مكانا يجلس عليه بعث إلى الوزير بالبيت السابق"[٣٩]، فقد اصطفاه القدر ليكون بطلا لمأساتها، وليكون ضحيتها في آن واحد، فالمجتمع مليء بالخيرات، لكنها محصورة لفئة معينة، والظلم أساس حصرها، فضلا عن الناس ليسوا منصفين، فهم لا يعطون الحق لأهله، فشاعرنا متشظي بخلجاته ، ولا يعرف مستقرا ولا أمنا، فيجد نفسه مرميا في الطرقات متناثرا بين الأزقة، وكأنه رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، فلا يسكن له ألم، ولا يجد من يضمد له جرحا، فشاعرنا لم يكتب كلمة وإلا وقد صحب الكلمة ألم وذل يصل لمرحلة الاحتضار، فالدهر لم يمنحه ما أراده من بعض الراحة والسكون، فأخذ يعبر عن همومه وآلامه الناتجة عن التسكع والتسول بين المساجد والشوارع "ومن ثم كانت عباداته رياء وتصنعا وقد صرح بذلك"[٤٠]، يقول:

نهاري إما نومة بين مسجد غرارا وإما بالطريق تسكع
وأطوي عصيّ الليل في القر ساعيا ومن أين للأفاق في الكون مهجع
إذا أذنوا للفجر طرت مسرة إلى مسجد أصلي فيه وأضجع
أصلي بأذكار المرائي وقلبه وبئست صلاة يحتويها تصنع[٤١].

فتحت الشكوى الباب على مصرعيه أمام الشاعر للبكاء وسكب العبرات، يعيش "بلا مأوى أو طعام لا يجد مأوى له إلا بيت الله يقضي فيه بضع ساعات يرتاح من قسوة الضياع حتى لو أدى الأمر إلى التظاهر بأداء الصلاة"[٤٢]، فأصبحت عبراته لسان شكواه، ومعينة على رسم ما يعانيه من شقاء وبؤس وذل، فمأساته نابعة من الواقع المتشظي الذي حمله على السؤال والكدية، فيشكو من ضيق رزقه وسوء حاله، فنجد الشكوى المحملة بكل عاطفة تصب جميعها بإفراغ ما يحتويه الشاعر من حزن وألم واضطهاد، فيخلق في نفس الشاعر شعورا بالسخط "فهو يصور همه بالليل وذله بالنهار حينما يطرق عليه مالك الحجرة التي يسكنها بابه في غلظة وجفاء مطالبا بالكراء وهو مفلس لا يملك شيئا"[٤٣]، يقول:

ثمانون قرشا أهلكتني كأنهـــا ثمانون ذنبا في سجـــــل عذابي
طويت لها الدنيا سؤالا وكدية فما ظفرت نفسي برد جـــواب(٤٤).

"يقدم صورة حية لمهانته وتعاسته حين يقف أمام صاحب البيت وهو يطالبه بالأجر ويقول له ماذا يضمن لي حقوقي إذا لم تدفع، فلا أثاث بالحجرة لكي أوقـــع عليـــه الحجـــز"(٤٥)، والمتأمل في شعر الديب يجد أن نظرته إنسانية نبيلة، نظرة تدعو إلى العـــدل لا الانتقـــام والحقد، دعوة إلى إعادة الحقوق دون الظلم والإجحاف ويقول:

أأبكي وحظي في حمـــــاك يغـــرد؟ وأفنى ولي ذكر إذا شئت يخـــــــلد؟
وأشقى شقاء الروض جانبه الحيـــا وفي مصر أكفاء بعطفـــك تسعـــــد
أتلبسني تاج الكرامـــة لامعـــــــا وتنزعه أيد لعدلـــك تجحـــــــد؟(٤٦).

عكست جميع أشعار الديب البؤس والشقاء الذي عانى منه، فأشـــعاره ترصـــد المصـــائب المتتالية التي كانت تلتصق به، فصورت إنسانا بائسا شقيا متوترا مهزوما خائفا قلقا مغتربا عن نفسه ومجتمعه، لا حلم له سوى بضعة قروش.

٣-قطع صلة الأرحام

في المدينة تنقطع الأرحام بخلاف القرية، في المدينة كل إنسان ينشغل بنفسه، لا يهتم أحد بأمر أحد وقد عبر عن ذلك الديب من خلال تصويره للعلاقة بينه وبين أخيه، فأخوه يعلـــم بفقره، ومع ذلك يتركه يغرق في غياهب البؤس والتشرد، فيشتكي شـــاعرنا مـــن قطيعـــة إخوته وتجاهلهم لحقوقه في إحسانهم إليه ببعض أموالهم فيقول:

أخي وأية دنيـــــا يستطيـــب بهـــــا مريء عيشك إن خلفتني هـــملا؟
إني أعزيـــك ولكنـــي علـــــى محـــن مما تعاملني حتى غدا مثـــــــلا
أعطاك ربك عيشـــــا هانئـــــا فغـــدا نداك شحا وكم أوسعتني ملـــــلا
وهبك ملكت ما في الأرض من ذهـــب فإن كفك عن وصلي به بخلا(٤٧).

تعكس هذه الأبيات آلام الشاعر بسبب موقف إخوته في تجاهلهم إياه، فلجأ شـــاعرنا إلـــى الإكثار من الألفاظ المشحونة بالكآبة والضيق (همـلا – محن – شحا – ملـــلا- بخـــلا..)

ليظهر عمق معاناته، وما يلاقيه من أسى وحزن، وهذا بدوره يشير إلى تصدع العلاقات بينه وبين إخوته.

فقد عانى الديب مرارة غربة الأهل والانفصال عنهم؛ لذلك عاش مفتقدًا لنعمة الأمن والاستقرار والألفة والمودة، يقول:

يا من لجرح بهذا القلب يأسوه جرح اليتيم المُعَنَّى مات أهلوه
تزاور الناس يوم العيد ليس بهم أخ على الدهر يدعوني وأدعوه
أنا الغريب على الدنيا فعالمها أعْدي عدوي يهجونني وأهجوه
فما سمعت على الأعياد تهنئة إلا مداهنة يُلقي بها فوه(٤٨).

فمن الأبيات السابقة يتضح أن الديب مصابا بخيبة أمل كبيرة، فهو مهزوم من الداخل، يعاني من آلام كبيرة لا قدرة له بإبعادها عنه، فيقدم حيثيات الديستوبيا الاجتماعية، فالمجتمع لم يعط له سوى الذل والمهانة، يقول:

وحرمت حتى من حنان عشيرتي لا راحمي أهلي ولا ألافي(٤٩).

يوضح شاعرنا سر معاناته هو ما يكابده من بغض وحرمان، فلم يلق في وطنه ألفة ولا ودا ولا رحمة، بل انصدم بالبغض، والانحلال في القيم، وقد عمد شاعرنا إلى تكرار الاستفهام؛ ليؤكد على حرمانه من ألفة الأهل وعلى غربته، فهو يحيا منفصلا عن أهله ومجتمعه، فحجرته ليست مكانا أليفا ينعم فيها بالراحة والأمان، بل مكانا للأسى والهموم، يقول:

من زائري في العيد؟ من بالباب؟ وهم فقدت به رشيد صوابي
من ذا يطالع سحنة مغبرة فكأنها لعنت بكل كتاب
يا حجرتي ما عشت أحبوك الرضا فلقد حجبت عن الورى أوصابي
من زائري في العيد؟ من بالباب؟ وهم فقدت به رشيد صوابي(٥٠).

فيعتمد على تكرار الاستفهام الاستنكاري التعجبي الذي يقرر ضعفه وانهزامه نفسيا، فهو يبكي كلما تذكر قريته، يجهش بالبكاء كلما تذكر إخوته وتمنى وصالهم في العيد، لكن هيهات ما يتمناه وما يصطدم به في الواقع.

تشكل النصوص السابقة التي أوردناها صورة متكاملة لمفهوم الديستوبيا التي حاول الديب إيصالها إلى قرائه، كما أظهر الديب أن مأساة الفرد تكمن في عدم قدرته على تحقيق حلمه، أو الوصول إلى المثل التي يطمح إليها.

المحور الثاني: الديستوبيا السياسية في شعر الديب

لا يخفى على أحد مصير الشأن العربي في العصر الحديث من تمزقات سياسية وحروب وفتن، فضلا عن الفساد الذي عم شتى أرجاء الحياة، فقد سيطر مجموعة من الأغنياء على مقدرات الشعوب فصادرت حقوق الفقراء، كل هذا أدى إلى خراب وتخلف في الأرض العربية؛ مما زاد من اليأس والغضب في نفوس العرب، وعبدالحميد الديب سليل هذا المجتمع، فقد شعر بمآسي بلده، وتجرع مرارتها، فراح يدافع ويثور بوجه الطغيان والظلم والفساد، من هنا أدرك عبدالحميد الديب أبعاد الفساد السياسي في وطنه، من خلال معاناته من قمع الحريات والقهر والظلم، فأخذ يرسم صورة هؤلاء الحكام الذين قمعوا حريات شعوبهم وسلبوا منهم إرادة الحياة؛ لذلك نجد الديب يوضح ملامح الديستوبيا السياسية في القاهرة من خلال رسم لوحة فنية تعبر عن غياب رقابة الدولة فضلا عن فساد هؤلاء الحكام وممارساتهم العنيفة ضد الشعب من قمع وتعذيب، **ومن مظاهر الديستوبيا السياسية في مدينة القاهرة كما صورها الديب:**

١- غياب رقابة الدولة

من الواضح أن الديب خاض تجارب مرة في حياته، عانى فيها الكثير من مرارة المجتمع المتردي القائم على القمع والانكسار والظلم؛ لذلك فنفسه مليئة بالمهانة والأسى، لكن بطبيعته الساخرة يربط بين الحزن والسخرية، وقد عبر الديب عن ذلك من خلال تصويره لحجم الرغيف الذي أصبح مثل الوليد في الشهر السابع، دون أن يعلم القائمون على الرعية بهذا؛ لأنهم لا يبتاعون هذا الخبز، بل لهم خبز خاص بهم، لا يقدر المواطن العادي على ثمنه، فيطلق لهم حكمة ساخرة قائلا جوعوا تصحوا "فقد أثرت النوب والأحداث في شعره فصنعت منه شاعرا شعبيا، وصاغت منه الأحزان فنانا يترجم عن أحزان الحفاة المستضعفين، فرأى على وجوه هؤلاء لهفة إلى الرغيف وجزعا من نقص

وزنه على عهد إحدى الوزارات ١٩٤١م، فانتفض انتفاضة شاعرية تجعل من لهفته وجزعه صورة حية نابضة"[٥١] ، فيقول:

صغر الرغيف كأنما هو قطعة ... من قلب تاجره وجلد البائع
هل صار وهما أم خيالا؟ إنه ... قد عاد غير مؤمل أو نافع
لو كان سما ما تخرم آكلا ... أو كان ذا أثر بوجه البائع
قد كان شيخا للطعام فما له ... قد صار شبه وليد شهر سابع!
القمح أوفر غلة في أرضكم ... والأرض لم تنكب بمحل فاجع
والنيل مازال الوفي بعهده ... يجري بسلسال وفير هامع
يا للرغيف ويا لهول ضموره ... قد صار أمنية لبطن الشابع
جوعوا تصحوا واذكروها حكمة ... فالمجد لم يكتب لغير الجائع! [٥٢].

يرسم الديب لوحة ذهنية تثير الدهشة، فالخباز قام بتصغير حجم الرغيف كأنه قطعه من قلبه، أو كأن البائع يقطع من جلده ليصنع هذا الرغيف، فالرغيف لم يعد يسد جوعا كما كان من قبل، فقد كان الرغيف الأول يغني عن تناول الرغيف الثاني، أما في عصر الديب صار خفيفا صغيرا كالوليد الذي سقط في شهره السابع، يتعجب الديب من هذا الفساد، فالأفران تختزل الدقيق لتبيعه بثمن أكثر مما ابتاعته من الحكومة، ومن هنا يستوجب الشاعر بضرورة رقابة الدولة على المؤسسات المختلفة؛ لأنه ليس هناك ما يستوجب صغر حجم الرغيف، فالقمح مازال وفيرا في القاهرة، ومازال النيل يجود بمياهه على المصريين، فأطلق الديب صرخات معبرة عن معاناة جيله، أرسلها في قوة وجرأة، فيستخدم الشاعر ضمير المخاطب في (أرضكم) ليُشعر القارئ أن البلد بلد الساسة وليست لبقية الناس، على الرغم أن منْ يزرع هو الفلاح الشقي، والذي يأكل هم هؤلاء الساسة.

٢- فساد قادة الدولة

عبر الديب عن فسادة قادة الدولة بوصفهم بالغدر والكذب والمراوغة والتقنع، فضلا عن عدم اهتمامهم بتوفير القوت اليومي للشعب، ففي الحرب يُمني القادةُ الشعبَ بالأيام الهنيئة،

وحينما يأتي السلم، فلا يجد الشعب إلا سرابا، فشاعرنا ينبه قومه أن وعود الحكومة مجرد كلام، فيصرخ الديب في وجه الساسة، موجها إليهم نقدا صريحا فيقول:

عادت سنون ابن يعقـوب ودولتـه وآدنا المحـــل لا مـــاء ولا شجـر
نرعى الهشيم بوادينا علـى سغـب واليانع النضر يرعـــى السابغ البطر
إذا استغثـــنا طبيبـا في مواجعنا بدا لنا جـــرحه والمـوت ينتظـر
وكم ســـحاب رجونـاه ليمطرنا فجاءنا من نداه الجمـــر والشـرر
حتى الرغيف فـقدناه ولا عجـب فنحن في أمـــة أيامهـا عبـر
في الحرب والسلم نشكو ليس ينجدنا إلا خبيـــث يردينـا ويعتـذر
أجنة الخلد في مصـر مصوحـة والنار في غيرهـا للخيـر مدخـر(٥٣).

فالبؤس الذي يحمله الديب كالجمرة في قلبه ورحه ما جعله يظهر فساد الحكام باعتبارهم يكممون الأفواه، فلا يعملون للشعب حسابا فضلا عما يقومون به من ممارسات فظيعة ضد الشعب، فديستوبيا المدينة تتعمق حينما تقترن بالجوع، فالديب يعبر عن ذلك من خلال تصوير عصره بعصر ابن يعقوب، فقد جف الماء ومات الزرع، وعم الجدب، وذهب الخير، كل هذا يرجعه الديب إلى الساسة الذين أكلوا كل خير ومنعوه عن بقية الناس، فانتشر الفقر بين الشعب، يقول:

برامكـة وليـس لهـم رشيـد وأقيـال وكـلهـم عبيـد
مدحتهم فما شـرفوا بشعـري لخستهم ومـا شـرف القصيـد
وصغت هجاءهم فإذا الأهـاجي على الأفواه لحـن ونشيـد(٥٤).

فالديب يوجه نقدا لاذعا لهؤلاء الساسة، فيجعلهم مثل البرامكة، غير أن قائدهم ليس هارون الرشيد، فقائدهم كما يرى الديب خسيس فاسد، يأكل خير شعبه، ويشبع ليجوع شعبه، فنلاحظ أن الكلمات (أقيال – عبيد – لخستهم) قد وظفها الديب ليعبر على شكل ومضة سريعة تشعرنا بفقدان هؤلاء الساسة الإحساس بالذات، فأخذ شاعرنا يهجوهم، فإذا بهجاه لهم يسري على ألسنة الشعب كاللحن والنشيد.

ثم ينتقل الديب إلى مظهر آخر من مظاهر ديستوبيا قادة الدولة وهي الديكتاتورية، فالفلاح يكد ويشقى ليسعد هؤلاء الفاسدون، فالفلاح يجوع ويجيع أبناءه، لتترهل كروشا في ظلال الرفاهية والراحة، ففأس الفلاح ترسم السعادة للساسة، وفي الوقت ذاته تحفر القبر لهذا الفلاح وأولاده الجياع المساكين، وقد عبر الديب عن ذلك كله بقوله:

كل الحياة بهذه الفأس — من أخمص الدنيا إلى الرأس
حسب ابن بجدتها وحاملها — بين البرية عزة النفس
كم أنبتت في قاحل ذهبا — وجرت على الأزهار كالكأس
هي فرحة إلا إذا حملت — لتشق مثوى الميت بالرمس(٥٥).

فالديب يرسم لنا مظهرًا آخر للديستوبيا السياسية وهي صورة الفلاح الذي يمتثل للأنظمة الحاكمة في كل شيء، حتى لو كان على حساب نفسه وأبنائه، فمن أكثر الأسباب التي تجعل الديب يسخر من مجتمعه هو شعوره بالظلم في مجتمع مليء بالاضطراب والظلم، ومادام المجتمع قد فقد العدالة فلابد أن يحكمه قانون الغاب، وهذا بدوره يؤدي إلى انتشار الفساد الإداري والأخلاقي، فيقول:

في غابة الوحش ثارت — عواصف من جهنم
الأرض منها استجارت — والصخر منها تكلم
وما شدا الطير فيها — إلا النعيب المنغم
فالحاكم اليوم ليث — وصاحب الليث مكرم
يا مستغاث جياع — أكلت شعبك فارحم(٥٦).

فيبدأ الديب قصيدته بالشكوى، وهي شكوى جماعية لا فردية، فيبكي هموم وطنه، وما وصلت إليه من خضوع واستكانة، كل هذا يرجع إلى الطريقة التي يتبعها قادة الدولة في تسيير أمورها، رفض الديب هذه الطريقة التي يتبعها هؤلاء القادة، فرفع الكلمة سلاحا في وجه هؤلاء الساسة؛ ليظهر فساد قراراتهم وسوء نواياهم، والديب يرى أن أبرز الصفات الذميمة في المجتمع والتي تؤدي إلى هدمه، هي قلة في الدولة يزدادون غنى والشعب يزداد فقرا، فيقول الديب:

الشعب جوعان لم يشك الحفا أبدا ... ولم يمد لكم رجلا لإنصاف
فقد يبيع الحذاء الفخم صاحبه ... لينقذ النفس من جوع وإتلاف
وفي البلاد على خطب الطوى صبر ... وليس الصبر في خطب العلوي شافي
ولابسين على فقر جلودهمو ... لا يلبسون سوى ما حير الرافي
هذا هو البؤس لا حاف ومنتعل ... والجرح لكنه عن طبكم خافي[٥٧].

فشاعرنا يصور جوًا مأساويًّا، وعند النظر إلى قاموس شاعرنا اللغوي نجد شاعرنا يعيش صراع حاد بين الاستقلالية في التعبير عن ذاته وصدق مواجهة كثير من نوائب الدهر وبإيمانه بدور الشعر في التغيير، ثم يوجه الديب سهام نقده إلى الساسة فهم يدارون الفاسدين ويحرمون أبناء الوطن من خيراته، في حين ينعم الفاسدون بخيرات الوطن؛ لذلك يثور الديب على سوء عدالة التوزيع، فالأغنياء يستحوذون على خير مصر في السلم والحرب، ولا يكون حظ الفقراء في الحرب سوى الغازات، فيقول:

يا رب ما مصر أمام عدوها ... إلا كمائم خصصت لسراة
للأغنياء وعبدهم وكلابهم ... أما الفقير فطعمة الغازات[٥٨].

ولما خاب ظنه في الحكومة نظم قصائد ثار فيها على الفساد السياسي، فهو يتوجه إلى الأزمة السياسية التي وصلت إليها مصر مع النظام السياسي القائم، فيسيطر اليأس والإحباط على الشاعر تجاه الواقع المؤلم، فقد أُفُل مجده مصر، وذهب عزها وكرامتها كما يرى شاعرنا، والديب يصر على هذه الصيحة، فيقول:

تحيرتُ في مصر فمرجع خيرها ... إلى ثعلب يعدو على الناس أو ذئب
إذا ما كشفنا كنزها آض تيره ... لمن لم يكن منه على مركب صعب
لكل خمول أو جهول وتنتهي ... إلى يدنا منه الفجائع بالندب
أعوذ بآلاء الكنانة أنها ... غدت هملا كالعيس تعطو إلى شرب[٥٩].

فيصرخ الديب في وجه قومه علهم ينفضون عن أعناقهم أغلال الذل والخضوع، وأن يهبوا للتخلص من هؤلاء الساسة، فيطلق صرخات في وجه الحكومة من خلال تحريضه للشعب ضد الحكومة، فيحثهم على أخذ حقهم بالقوة، وما تحريضه لقومه إلا ثورة منه

على الحكومة الظالمة، فالديب لم يرض بواقعه الأليم بل ثار وحرض، وجعل من شعره الرافض مدرسه للأجيال التي تأتي بعده عندما قال:

كلوا الحكومة أو موتوا من الجوع صوت الضعيف المرجى غير مسموع
من حرموا اللحم في يومين هل علموا أن ليس في حكمهم زيد لتشريع
حكومة الفقر والأيام قبلهو على الورى حرمته ألف أسبوع[٦٠].

بهذه الروح الثورية الرافضة عبر الديب عما في خلجاته من انفعالات وعواطف نحو وطنه، فقد عاش شاعرنا في ظل ظروف سياسية معقدة، فهو على وعي تام بطبيعة الصراع بين السلطة والشعب، وما يقوم به الساسة في كبت حريات الشعوب، وسلب حياتهم الكريمة، وقد أدى هذا الصراع إلى نمو شعور الشاعر بالحنق تجاه الأنظمة الحاكمة.

٣- عنف الساسة ضد الشعب

كانت معاناة الديب السياسية كبيرة وقاسية لما تعرض له من اضطهاد وقسوة وظلم وتعسف، فعبر عن عنف الساسة نحو الشعب من خلال تصويره لسجين ضرير ضاق بالسجن، فلم يلتزم بمعايير السجناء، فألحق به الحراس أشد أنواع العذاب، فالديب يرفض الوضع السياسي الموجود في وطنه، ومن سيطرة الفاسدين على مقاليد الحكم، الأمر الذي جعله ينشغل عن آلامه الذاتية، وأنساه المصائب التي حدثت له في حياته الخاصة على يد هؤلاء الفاسدين، فبكى مصائب وطنه، وما جرى فيه من فتن، فيمزج بين آلامه الذاتية والآلام الجماعية لبقية الشعب، كما يفصح شاعرنا عن غضبه وحزنه من تردي الأوضاع السياسية من خلال معجم شعري، ساع في نشر جو عام مليء بالحزن والبكاء، فيقول:

سجنوا عليك الكون أم سجنوكا لو أنصفوا في ظلمهم قتلوكا
تخذوا عذابك أو نعيمك شهوة وتقاسموك كأنهم خلقوكا
نم يا ضرير ففي عماك سعادة ألا ترى عيناك من ظلموكا
ألا ترى أثر الطغاة وجورهم عرضا ذبيحا أو دما مسفوحا
ألا ترى الدنيا شخوص رواية ضلت وضلوا شرعة وسلوكا

صادوك فاتخذوك لعبة ملجـــأ كم عذبوك به وكم ضربوكـــــــا
لم يرحموك على عماك كأنهـم حسبوا العذاب على العمى يهـــنيكا
في الغرب كل اللاجئين تخالهم بين لنعيـم المستقـــر ملوكـــــا
وهم بمصر معذبون أذلـــــة ملكوا من الرق المـــهين صكوكـا
يحيون في ظل الأسار وضيـقه بأشد من عيش السجـون حلوكـــا
وهم كباقي الشـعب في بأسائه ظل الحنو به غـــدا متروكـــــا(٦١).

فكثرت شكوى شاعرنا معبرا عن قلقه النفسي الذي تولد من الديستوبيا السياسية والفكريـة والاجتماعية، فالديب يشكو الدهر الذي أتى بساسة لا يضعون الرجال في المكانـة التـي يستحقونها، فالديب يعاني من انقلاب الموازين التي تجعل المعالي تهيئ لمن ليسـوا لهـا بأهل، وقد رصد شاعرنا من خلال المقارنة ما يتعرض له الإنسان في الغرب والإنسـان في مصر من ظلم وقهر واضطهاد، فقد كان الديب يرنو إلى مجتمع مثالي خال من الـذل والاضطهاد والتسلط، فيشكو من سوء الوضع السياسي، وفساد الإدارة السياسـية للدولـة، فيقول:

إذا فتشت نواياه أرى صدرا من عاطش للأذى في لؤم ضحاك(٦٢).

وذات يوم ذهب الديب إلى أحد الوزراء يطلب معونته، فيفاجأ بالخادم يطـرده ويضـربه؛ مما زاد من حدة حزنه وألمه، فالمجتمع قد لفظه ومارس ضده العنف، فزاد الشـرخ بـين شاعرنا والمجتمع، فامتلأت نفسه بالضياع، فقد عبر الديب بجلاء عن ديستوبيا السياسـيين الذين سلبوا أنسنة الشعب قسرًا تحت تأثير آراء روحية واجتماعية ونفسية جائرة، فـأطلق شاعرنا صيحات باكية عما يلاقيه في الواقع من ذل ومهانة، وعند تدقيق النظر في شـعر الديب يجد أنه لا يقتنع بالسادة الحكام، يقول:

قصدت إلى بابك الموصـــــد فطوردت بالخـــــــادم الأسـود
غلام يمثل حظـي لديـــــك وقلبك في البيـــــت والمعبـد
لقد عشت حين طلبت الـــندى إليك طلبت يـــــــد المعتـــدي
لقد عشت يا رب حتى رأيـــ ـــــت من الناس أقسى الجلْمَدِ(٦٣).

فأبياته تعكس ثلاثة مستويات، الأول الألم الجسدي وذلك حين اعتدى عليه الخادم بالضرب، والثاني: الألم النفسي؛ وذلك بسبب خيبة ظنه في الوزير، والثالث: ما تلا ذلك من آلام نفسية لصقت بالديب لشعوره بالذل وخدش كبريائه، ومما زاد من حجم معاناته أن الذي اعتدى عليه ليس غريبا، بل من أصدقائه، وبالروح نفسها نستشرف معاني الغربة والمرارة وألم الحرمان وصدق المعاناة، يقول:

مولاي أن المسلمين كما ترى ما بين مظلوم وبين مهان

ولكن لم يأبه أحد بصيحات شاعرنا، فقد اندثرت إرادة الحياة من هؤلاء الخلق، وخضعوا إلى ضعف فنائهم، وتنحوا عن حركة الحياة تاركين سيل القدر أن يهدر وجودهم، فلم تعد قدرتهم تنزع إلى المقاومة وتحمل الآلام.

المحور الثالث: الديستوبيا الأخلاقية في شعر الديب

١- الطمع والوصولية

يعبر الديب عن فساد الأخلاق في مدينة القاهرة من خلال تصويره طمع الناس ورغبتهم في الاستحواذ على ما في أيدي الآخرين، فضلا عن سيطرة الوصولية على الناس من خلال الصعود إلى المناصب من خلال سرقة جهود الآخرين وإسنادها إلى أنفسهم، فيعلن شاعرنا نفوره من مجتمعه فهو يراه أشد شرًا من قوم نوح عليه السلام، وهذا يشي بانفصال شاعرنا عن المجتمع لانقطاع أواصر التراحم وانعدام الشعور بالأمان فيه، فيقول:

حظي ومصرعه في لين أخلاقي وفيض عطفي على قومي وإشفاقي
ومن حبته الطلا أخلاف نشوتها عدا الكأس طورا أو على الساقي
بين النجوم أناس قد رفعتهمو إلى السماء فسدوا باب أرزاقي
يا أمة جهلتني وهي عالمة أن الكواكب من نوري وإشراقي
أعيش فيكم بلا أهل ولا وطن كعيش منتجع المعروف أفاق
وكنت سفين نوح أرسلت حرما للعالمين فجاوزني بإغراقي[٦٤].

فالديب قد امتلأ قلبه بالحيرة وتملكه الضيق، وفقدت نفسه كل محاولات الثبات والتجلد، وما يمكنه أن يفعل وقد أُحيط بأناس ألفت الدسائس، واعتادت على الكذب، فحطوه عن مكانته، وجردوه مما هو أهل له؛ لينفردوا هم بالحياة، وهم ليسوا أهلا لها كما يرى الديب، فآوى الشاعر إلى مدينة الشعر، فسكب فيها آلامه وهمومه، فتحول تمزقه النفسي إلى شعر.

ومن أشد أنواع الديستوبيا الأخلاقية شعور الفرد بأنه منبوذ من الجميع، وأن كل من حوله يحمل له حقدا دفينا وكرها شديدا، فيلقونه بوجه عابس، وينظرون إليه شزرا، فمن مظاهر الديستوبيا انعدام الوفاء والأمن، وقد عانى الديب من ذلك كثيرا، فالديب يشعر بأن كل المحيطين به ما هم إلا أعداء، يكيدون به ويسخرون منه، وهذا الشعور جعله يفقد الوفاء الأمان اللذين يبحث عنهما كل إنسان، يقول:

يا قوم مالي من ذنب أدان به ... ما بال نوري إن أظهرتُ تخفوه
لكنها محنة أنتم طواعية ... فيها لدهري إن يأمر تجيبوه
ما العيش إلا منالي بعض أمنيتي ... في المجد أني دون المجد معتوه(٦٥).

فالديب يعبر عن خسة البشر من خلال محاولاتهم الوصول إلى المجد والشهرة بإطفاء نوره وأخذ حقه من المناصب والرفعة، وقد قابل شاعرنا كره الناس له بالتجاهل، فخاطبهم بصرخة تنم عمق الفجوة التي تفصل بينه وبينهم.

٢- الغيبة والنميمة والسخرية

عبر الديب عن ديستوبيا القاهرة من خلال تصويره ما يحدث بين الناس من كذب وغش وتقنع، وانتشار الغيبة والنميمة بين الناس، فيعبر شاعرنا عن الفساد الأخلاقي النابع من خذلان الناس له، فهو يتجرع مرارة الذل وألم المهانة، فلم يلق منهم إلا الإساءة والإيذاء، بسبب ما انطوت عليه نفوسهم من لؤم وخسة من خلال ثنائيات ضدية ساخرة، تفضح مثالبهم السلوكية، فيقول:

أعود اليوم للربع المحل ... ولوم الناس من قال وقيل
بقهوة عسكر ينبوع بؤسي ... فيا لله من بؤس طويل(٦٦).

وتتفاقم الديستوبيا الأخلاقية حينما يعاني شاعرنا من انفصال الروابط الإنسانية بينه وبين أصدقائه، فهو يشعر أن الجميع ينصب له العداء، وهذا بالطبع ترك آثارًا سيئة على نفسية الشاعر، فيعلو صوته معلنا ضجره وغضبه من أذاهم له، على الرغم أنه يحسن الظن بهم، ويسعى إلى مودتهم، يقول:

لم أدر ماذا طعمتم في موائدكم لحم الذبيحة أم لحمي وأخلاقي

وما تألمت من خطب ضحكت له كما تألمت من خطبي بعشاقي(٦٧).

فقد افتقر الناس علاقتهم الإيجابية، وذهبت المعاني النبيلة بلا رجعة، وعلا شأن المال، فاندثرت الصداقة والمحبة والوفاء وغيرها من المعاني السامية، فرفض الديب ذلك كله بأن انغلق على نفسه، فأنكر الناس عليه عزلته، فشعر باغتراب عن الناس، وما زاد من حدة حزنه وألمه أن الناس في المجتمع نهشوا عرضه، وسخروا من فقره وبؤسه، يقول:

أمر على المقهى فأسمع شامتا يمزق في عرضي وآخر يشفع(٦٨).

فأثر الشعور بخيبة الأمل الذي يتركه الديب في نفوس سامعيه له أثر كبير فيمن يشعرون بتفرد لم يقدره المجتمع، فيترك في النفس حيرة وقلق لا ينقطع، بل ويترك فيها أثرا يظل مصاحبا لها شهورا لا يلتئم، يقول:

والناس قد جعلوا ازدرائي فكرة توحي بها الأسلاف للأخلاف(٦٩).

فالصداقة إحدى العلاقات الاجتماعية التي تجعل الفرد ينخرط في المجتمع، ومن العجيب أن الديب ابتلي بأصدقاء لئام، يظهرون له مشاعر الود، ويضمرون له الحقد والضغينة، فهم ذئاب في جلود حملان، وللأسف انخدع فيهم شاعرنا، فأعلن ضجره منهم وسخطه عليهم، فيقول:

ما بال من عرفوا أليم خصاصتي ورقيق حالي ليس فيهم مسعف

من كان يقدر أن يفرج كربتي وينيب مدمعه فظلم منصف

يتمتعون بمدمعي وشكايتي والبدر سلوى للورى إذ يخسف

ولربما غدت المواجع سلوة للمترفين ومتعة لا توصف

ولقد تسلى العين وهي قريرة بمن اغتدى في قيد سجن يوسف

أأرى ذئابا؟ أم صحابـــتا؟ إنهـــم وجميعهم في الخـــــطب لم يتعطفوا
بار اللواء جمعت بعض كتـــائب والحقد فيـــهم مستبـــد متلـــف(٧٠).

فالديب يرى أن هؤلاء طبع على قلوبهم الغدر والحسد، فليس لهم عمل سوى الســخرية منه، هكذا عاش الديب يعاني ألم الديستوبيا الأخلاقيــة فــي مجتمعــه، مفتقــدًا الــدفء الاجتماعي بين أهله وأصدقائه، غير قادر على إقامة علاقات الــود والتواصــل معهــم، يستشعر ضياع القيم وانهدام العلاقات الإنسانية.

٣- البعد عن تعاليم الدين

لا شك أن كل المعايب ينبذها الدين، ولكن نقصد بالبعد عن الدين هنا كبائر الذنوب التي لا ينبغي أن يتوقع أن يقع فيها إنسان ، فيعبر الديب عن بعد الناس عن تعــاليم ديــنهم، بــل ويبررون سلوكياتهم الخاطئة بحجج واهية، فشاعرنا يصور فاقته واشتداد النوائــب عليــه حتى أحالت حياته إلى شقاء مظلم، أفضى به هذا الشقاء إلى الشك والحيرة، فاضــطربت نفسه، ومزقه القلق، فانطلق إلى الحانة باحثا عن اليقين باستكانة صوفي الذي قضى علــى أزمة واقعه بنشوة شطحاته "ولما شاع أمر إدمانه أخذ يترنح من حي الباطنية إلــى حــي الزهار إلى حانة الحاخام فإذا دبت في مفاصله الخمر أخذته نشوة مــن الســعادة الكاذبــة وانطلق يغني وينشدنا من حانة الحاخام في حارة اليهود"(٧١)، فيقول:

هات المدام فــديــن الله تيسيـــر فاسعد الناس مخمور ومخـــدور
هات المدام ولا تعرض لمتربتـــي مهما غلا العيش لم تغل القواريــر
هات المدام الصبوح البكر يحــملها إليك أخنس ساجي الطرف معــرور
إذا دعوت تراخـــى عنك معتــذرا وأسكرت كالطلا منه المعاذيـــــر
فديتها حانة الحـــاخام هادئـــة سكرى يعربد فيها الحسن والنور(٧٢).

ثم ينتقل الديب إلى سوء فهم الناس لتعاليم دينهم، وذلك بعدم عفوهم عن المذنب، فينصبون أنفسهم آلهة على البشر، فيغفرون لهذا، ولا يغفرون لذاك، يهيئون لهــذا ســبل العــيش، ويقطعون عن ذاك رزقه، يبيحون لهذا، ويحرمون ذاك، كل هذا عبر عنه الديب فيقول:

أيعفيك من دمعي نفورك من ذنبـــي دع الذنب يحصيه ويغفره ربـــــي
شربت بكأس أنت منشئ كرمهـــا كلانا بها طب على السلم والحـــرب
تلوم لتقصي الخير عني وترتدي غلالة ذي نسك تعبّد في خطبـــتـــــي
أتصبح قديسا لتفســـــق بالنـــدى وتهبط بالأخلاق عن شرف القلـــب؟
إذا كان قطع العيش عني هداية ضممن إلى الأخلاق مكرمة الكذب(٧٣).

في الأبيات السابقة يستكمل الديب تصوير نفسه المنكسرة، فلم تسقط دموعه حزنا فحسب، بل قهرًا وذلا؛ لذلك لم يكن نحيب الديب عاديا، بل كان يفيض فيضا، فهو يكشـــف عـــن بؤسه بتأكيده أن منع الخير عنه متعمد، فيتأسى على ضياع عمـــره مخـــدوعا بأصـــحاب القلوب الخبيثة، فهم شديدو الشبه بالشياطين في الأفعال والصفات، بعيدون عن المـــروءة والفضائل، نفوسهم مملوءة بالحقد والبغض لشاعرنا، ففي هذا العالم القهري اختلـــت فيـــه موازين العدالة، فطغى الشر باسم الفضيلة، فأطلق الديب صيحات ليفضح أمرهم، يقول:

عمة تحتها ضلال ولـــــؤم وهي عش الخنا وبيت الداء
نسجت من سفاهة وفسوق وعلى الخسة وبيـــت الـــداء
أطعمت ربها دجاجا حنيذا وسقته الكونياك بعد المـــاء(٧٤).

٤- البخل والمراء

الديب شاعر المأساة الحقيقية، فهو يصيح طالبا الكرامة والعزة، لعل هذه الصيحات تكـــون بمثابة الإنذار للمأساة التي يعيشها الإنسان في مصر، فيقول:

ما فاتني منك عطف الصخب والآل يوما ولا بخلـــت كفـــــــاك بالمـــال
احبس عطاءك ما لي فيه من أرب ما في العطاء سوى فهري وإذلالي(٧٥).

فشاعرنا يحاول دق ناقوس الخطر من خلال بعثه للمجتمع يحذرهم من عواقب الفساد التي تقهقر المجتمع للوراء، بحيث يكون التحكم فيها للأقوى، يقول:

ورفض لئيم كاشح الصدر حاقد نوالي أرزاقي بهمة عامل(٧٦).

ويصرخ منددا بصورة ساخرة للقيم المعكوسة في مجتمعه، الأمر الذي يزيد الفجوة بينه وبين مجتمعه، فيكشف ما يتصفون به من لؤم الطباع وانحلال في الأخلاق، من خلال الاعتماد على ثنائيات ضدية ساخرة، يقول:

أيهنيك أن أبكي وعيشك يبسم ... ويرضيك تبريحي وأنت منعم
مضى العمر لم أدرك به يوم ماجد ... وأنت على طول الحياة مكرم
وجيع لنفسي أن أرى منك فرقدا ... وأنت الثرى تعلو عليّ وتعظم[٧٧].

ويقول:

إلى القرب مني كنز قارون ماثلا ... ولما أنل منه سوى حرقة اليأس
ففي بيت جاري آثر المال وكرمه ... فيصبح في لمع الثراء كما يمسي
وجاري جماع الباخلين وظلهم ... فلم يدع محروما بعيد ولا عرس[٧٨].

فمجتمع الشاعر مصاب بعمى البصيرة، فضلا عن معاناة هذا المجتمع من تخلخل موازين الأخلاق بسبب تمكن الفساد من نفوسهم، فلا ينتظر منهم منفعة، ولا يأمن أحد بوائق أحد، فلا يصونون له عرضا، ولا يحفظون له حقا، فيعبر عن غضبه من فوضى منظومة القيم في مجتمعه، يقول:

ما بالهم سكتوا كأن لم يعرفوا ... هذا الضحى والشمس فليتشوفوا
ضنوا عليّ بكفرهم وبقلهم ... وسواي لو طلب المعونة أسرفوا
لا تبهموا يا جيرتي أحكامكم ... في محنتي فلتعدلوا أو تجحفوا[٧٩].

<u>المحور الرابع: الديستوبيا النفسية في شعر الديب</u>

عاش عبدالحميد الديب في ظل ديستوبيا نفسية بعدما تضافرت الديستوبيا الاجتماعية والسياسية، مع ما أفرزته الديستوبيا الأخلاقية من هواجس وآلام، لتتشكل حالة نفسية مركبة هاجسها الديستوبيا النفسية، ومن الملاحظ أن الديستوبيا النفسية في مدينة القاهرة كما صورها الديب نابعة مما يلي:

١- اليأس لعدم تحقق الآمال

عانى الديب من محنة الفقر الشديد، وقد تركت هذه المحنة أثرا سيئا على نفسيته، فشعر بالإحباط والتهميش الاجتماعي، وهوان منزلته في المجتمع، على الرغم أنه عاش وفيا للمجتمع وللوطن، فيطلق هذه الصرخات ليعبر عن إحساسه العميق باليأس، علها تهز مشاعر المجتمع وينتشله من مستنقع الحرمان الذي يسبح فيه، فيعبر عن يأس شباب جيله بتمنيهم الموت، فيجعل الشاعر نفسه صدى لهذا الجيل، عاكسا آلام جيله على نفسه، فما أصاب جيله أصاب الديب، فيقول:

وداعا شبابي في ربيع شبابي ... وأهلا حسابي قبل يوم حسابي
وما يبتغي من عاش غير موفق ... ثلاثين عاما في أسى وعذاب
بنى فوق دار الشمس دارة مجده ... فساكنه فيها نذير خراب
طلعت على الدنيا فلا النور في الدجى ... ولا الروضة الفيحاء وسط يباب
ولكن حظي بدل النور ظلمة ... وبدل ما أشدو نعيب غراب
وبؤت من الأيام وهي هوامع ... بحظ العطاشى من جهام سحاب
أماني تفريها الخطوب رأيتها ... كأشلاء قتلى في رءوس حراب(٨٠).

هذا اليأس ناتج عن تحطم ذات الشاعر أمام التحديات والصراعات التي عاصرها في حياته ولا يستطيع مواجهتها، وما تزيده هذه التحديات سوى يأسا وفقدانا للأمل من إحداث التغيير في المجتمع الذي يعيش فيه "كان الديب يسرع نحو النهاية فقد أصبح حطام إنسان شقيا تعيسا منهار الصحة والنفس لم يجد الوظيفة التي يوفر بها لقمة العيش له ولزوجته وولديها، ولم يجد الأمن والاستقرار"(٨١)، فيقول:

رضيت ومن يمرن على حزنه يرضى ... فياظل أحلام تقلص وانفضا
ويا سامر الدنيا وموكب يسرها ... تجافيت بي نفلا وأنكرتني فرضا(٨٢).

فالأبيات السابقة تعبر عن صدمة الديب ومدى معاناته النفسية جراء إهمال المجتمع له، وهدره لحقوقه، فيستخدم الشاعر الثنائية الضدية؛ ليظهر تخاذل المجتمع في انتشال شاعرنا من آلامه وأحزانه، فيوازن بين تعامل المجتمع للشاعر وللفاسدين؛ ليصل إلى نتيجة

مؤداها أنه يشعر باليأس الشديد، وكأنه ينتمي إلى مجتمع آخر، فالأبيات السابقة تبرز الصراع النفسي الذي يعاني منه الديب بسبب التناقض بين الواقع وما ينبغي أن يكون، هذا التناقض هو الذي أفضى إلى شعوره باليأس الذي جلب له معاناته وتعاسته، فيقول:

أجدد للدنيا نشاطي وهمتي فتنفحني الدنيا شقاء مجددا(٨٣).

ويصر الديب على الثنائيات الضدية التي تحمل داخلها يأسًا وإحباطا وسخطا على الواقع، فهو يعاني الفقر والحرمان، ويلاقي الذل والمهانة، في حين ينعم الآخرون برغد العيش، فيقول:

أنات محروم وذلة عافي وشقاء مغمور المواهب خافي
وأجوس جنات النعيم إلى العلا فإذا بأرجاء الجحيم مطافي(٨٤).

يقول:

يا ذلة العيش بين البؤس والشرف عيش هو الموت في الحرمان والتلف
إذا تناولت نجما في محاولة رأيته حجرا صفوان من خزف
ولو كشفت كنوز الأرض ما ظفرت يداي منها بغير الحزن والأسف
أعيش في أمة ضاقت رغائبها بالدر وانصرفت حمالة الصدف(٨٥).

فالأبيات السابقة تعكس تملك مشاعر الانكسار والعجز على نفسه ، كما أنها تعكس قلة حيلته، فالشاعر يحمل عتابا شديدا لمجتمعه الذي تجاهله وأغلق الأبواب في وجهه، فمعاناة شاعرنا تبدأ من فشله في أن يتبوأ مكانة متميزة في المجتمع الذي لم يحسن معاملته رغم ما يتمتع به من صفات تؤهله ليتولى أسمى المناصب، فلم ينل ما كان يأمله، فعانى من الفقر والذل والاضطهاد، فشعر بمرارة اليأس والإحباط، وأحس أن المجتمع أطبق عليه الخناق، يسومه صنوف العذاب والهوان، وتحاصر شاعرنا الهموم وتزداد حسرته، فيحيا في عالم حزين مظلم، يقول:

كل شيء أَشْهَدَ الله عليّا فرّت الدنيا جميعا من يديا
لا تقل لي كيف تحيا سادرا؟ أنا ميت بين قومي لست حيا
سر هذا البؤس أني شاعر قد افاد الدهر مني عبقريا

أنا أو إبليس للـدنيا عمـــــــى هو خافٍ وأنا أبـــــدو جليّـــا[٨٦].

فالشاعر يتعجب من الحالة التي وصل إليها ومن قومه الذين يؤخرونه ويتنكرون له، على الرغم من أنه أكثرهم ذكاء، وربما يرجع تنكر الناس له هو أنه كان يود أن يصبح ذا شأن أكثر من أقرانه يعلن تفوقه عليهم، فتجاهلوا موهبته حتى لا يعلو نجمـه علـى نجمهـم، فأقصاه المجتمع بعيدا لما يشكل الديب خطرا عليهم، فترك ذلك في نفسه جرحـا عميقـا، وتزايد هذا الجرح حتى أقض مضجعه، وأحال حياته جحيما، فيصرخ الديب قائلا:

تجافت به الدنـيا فعـاش ذليـلا ولم يُجْدِهِ فرط الذكـاء فتيـلا
سلام على حـظ وقفـتُ بقبـره أنوح عليه بكـرة وأصيـلا
رجوت الحيا سقيا لربعـي فَعَقّنِـي وَعُدْتُ وربعي لا يزال محيـلا
ومن شقوتي في محنة العيش أننـي فقدت نصيري صحـبة وقبيلا
ولا عجب فالدهر أظلـم حاكـم يُعِزُّ هجينـا إذ يُذِل أصيـلا
ولو لم أعش في جنة الصبر راضيا لقضيت أيامي أسىً وعويـلا[٨٧].

فقد دأب الديب على إعلان صموده وصبره لنوائب الدهر، فهـو صـاحب همـة عاليـة وعزيمة قوية، ترفض المهانة والخضوع وربما إكثار شاعرنا من هذه المعاني كانت تسلية لروحه وتعزية لنفسه عن الواقع الأليم، فتحمله لنوازل الدهر تزيده من ثقته بنفسه، يقول:

تجافت بنا الدنيا ونحن سراتهـا وضـاقت علينا أرضـها وسماها
ومن يُرْم بالدنيا الفقيرة فليكـن على الرغـم منه أمهـا وأباهـا
تحطمت بالـحرمان لولا علالـة تمرّغ فـقري في وضيـع ثراهـا
واستشفع الفَدْمَ الضعـيف بمحنة بها فاض همي يائسـا وتناهـى[٨٨].

فالأبيات السابقة تترجم ما شعر به الديب من ذل ومهانة بسبب الحالة التي وصل إليها من الفقر والحرمان، وقد نجح معجمه الشعري في الكشف عن معاناته وصدق شعوره، فيقول:

وهل أنا حي أم قَضَيْتُ وهذه إهابة إسرافيل تبعثني وحدي[٨٩].

"وكان للبؤس والحرمان والفقر والحزن أثر كبير في اتجاهه نحو السخرية فـي كـل مـا يحيط به ويقع تحت بصره"[٩٠].

٢- الحزن والألم

الحزن والألم هو النتيجة الحتمية للفقر والتسول وقطع صلة الأرحام، فضلا عن الديستوبيا السياسية والأخلاقية، فقد عبر الديب عن حزن جيله منذ أن وُجد في الحياة، فيجعل نفسه مرآة لهذا الجيل، فيعبر عن آلامه النفسية التي رافقته منذ صغره بداية من موت سالم بطله المنشود، فضلا عن فاقة أسرته، وعندما انتقل إلى القاهرة بدأ حزنه الأكبر وكده في الحياة وحظه العاثر، كل ذلك ختم على قلبه بالحزن والأسى، فيقول:

لم يخلق الحزن إلا في جوانحنا ولا المدامع إلا في مآقينا
لو ذاق هذا الورى معشار محنتنا ما قارفوا عيشهم دنيا ولا دينا
ولا أقاموا على الدنيا وإن ظهروا بصفحتنا سليمانا وقارونا(٩١).

يصرخ الديب ليعبر عن عمق الألم الذي يعتصر قلبه حزنا بسبب ما انطوت عليه نفوس مجتمعه من فساد الطباع وسوء الأخلاق، فقد استشرى فيهم الفساد والضلال، فيعبر عن حزنه وألمه من خلال وقوفه على الأطلال، فيفجع بالتغير الكبير الذي حدث لها، فقد أضحت خرابا موحشة بعد أن كانت مأوى الأمن والاستقرار، كذلك حال شاعرنا أحالته نوائب الدهر إلى خراب مفتقدًا الأمن والدفء، فيستحضر نضارة عوده وقوة بدنه، فيحتمي بالذكريات وتلوح في ذهنه ذكريات نفسه العابقة بالأمل، يقول:

لو أستطيع البكا يا أيها الطلل بكيت حتى شكت من دمعي المقل
أرى الحوادث آسادا مقذفة عليّ دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوح عودي بعد نضرته وكم خبا في دياجى عمري الأمل(٩٢).

يعلن شاعرنا صموده في مواجهة نوازل الدهر ونوائبه، فهو يتحلى بنفس صابرة ذات عزيمة قوية، فكلماته (فما جزعا – همالايا مال وانصدعا) تعكس حالة الصمود والتحدي التي يتسم بها تجاه مصائب الدهر، فهو يعلن أنه لن يستسلم ولن ينكسر إزاءها، فيقول:

ريع الحبيس ببلواه فما جزعا والجرح كل مدى إبلاله وسعا
حملتها طعنات لو بواحدة منها مني همالايا مال وانصدعا(٩٣).

وكأنما حكمت الأقدار أن يحالف الهم حياة شاعرنا، لتفيض قريحته بهذه الأنغام، كالوتر الذي لا ينطق إلا إذا جرح، فياله من مجتمع ديستوبي عاش فيه شاعر مرهف الحس، تعيس الحظ، كُتب عليه أن يتجرع الهم والألم والبؤس وهو يطوي الطرقات باحثا عن لقمة العيش، فلا يجد إلا كسرة الخبز، فقد أُبتلي شاعرنا شر بلاء بمولده في مجتمع شر المجتمعات، أفسده القائمون عليه، مجتمع يقضي على الطموح، ويقتل الآمال، فغدا الديب يرسم لوحة قاتمة الظلال، غاضت فيها نافورة الأمل، ونضب فيها معين التفاؤل، وخمدت داخلها نيران الحماسة، فصحبها اليأس والبؤس والحسرة والألم والندم، يقول:

كل الأنـــام صحـــا ... في مـــــهرجان الضحى

والأنس عني انتحـى ... والهـم بـــي برحـــا[٩٤].

ويقول أيضا:

ضـــلت الأقدار تقسيم النعم ... قسمة ضـيزى وأخرى عن كرم

كيف يُعطى الراحـــــة صنم ... ويـذوق البـؤس حـر عالم؟[٩٥].

فالديب يحاول تسليط الضوء على النقاط الغائمة والضبابية في المجتمع، فينقل لنا صورة لمجتمع مظلم تختفي فيه الأمنيات والآمال، فنفسه مرهفة اسودت الحياة في وجهه على جمالها، ضاقت به الأرض بما رحبت، فتجلت عيوب مجتمعه مجسدة، فراح يرشقه بحجارة النقد، فقد أصبحت حياته في هذا المجتمع لا تطاق، بعد أن عاث فيه الناس فسادا، فامتلأت نفسه حزنا ويأسا وذلا، هذا الوعي الحاد بمفاسد المجتمع، نمّى لديه الإحساس بالظلم وعدم التقدير، فالمجتمع لا يقدره حق قدره، وهو العبقري الحاذق، ويقول:

أجدك أضناني حديـث رحيلـــــي ... وما غير يوم البعث يوم قفولـــي

ظننتُ متاع العرس يبقى إلى غـــد ... وأن بكوري بينـــه ومقيلـــــي

وطوفت بالأحلام نشـــوان سـادرا ... لعلي بلذاتـــي أبـــل غليلـــي

فغدوة ليل العرس واجهـت الأسـى ... لترفع قسرا حملهـــا وحمولـــــي

لقد رضيت بي بعلهـــا وكأنهـــا ... تطلبت البلـوى بكـــــل سبيـــل

رأت فجأة كأسي تفيض لكاســـها ... معيشة أفاق وضعـــف ذليـــل[٩٦].

في الأبيات السابقة نستشعر عمق المعاناة التي يتألم منها الديب، فهو يحن لمشاعر الدفء والأمان والاستقرار، فلم يعد يربطه بمجتمعه أي رباط عاطفي، هذا المجتمع الذي أذله وأهانه، فحينما طلبت زوجته إحسان الطلاق، ضاقت الدنيا في عينيه وتجرع آلاما فوق آلامه، يقول:

يا صاحبي حجز الغريم ولم أجد ... في الناس من بيع الأثاث مجيري
وغدا سيفضحني ويفضح عيشتي ... نذل يبيع حشيتي وحصيري
والناس قد جمعوا إلينا شامتا ... أو باخلا يسخو بكل مضير
ليروا مبيتي بالعراء وزوجتي ... حيرى لبؤس مصيرها ومصيري(٩٧).

لقد أحب الديب زوجته، فاندفع نحوها عاشقا، لكن الصدمة التي أثرت عليه هي أن هذه الزوجة تحتاج إلى من يكفلها ويكفل طفليها، فضلا عن ثمن إيجار الشقة، فصاحب الشقة يظل يطارده طيلة الشهر للحصول على ثمن الإيجار، فيستبد به شعور الحزن والأسى، حتى تسلل اليأس إلى قلبه فيتمنى الموت ويدعو جميع المخلوقات إلى الموت، فهي أمنية المتسول المتشرد اليائس من تحقيق آماله وأحلامه، اليائس من أن يعيش حياة كريمة، فهو يرفض الحياة، ويتمنى الموت؛ لشعوره بعدم أهميتها لها، فهي لا تزيده إلا حزنا وألما، لعل الموت يخلصه من مرارة آلامه، يقول:

أيها الورد انتحر لا تتئد ... قد تجافي دهرنا بالأرج
أيها الطير إلى الموت فقد ... صمت الآذان عن كل شج
أنا من قالوا خليج مرح ... وطوال العمر لم ابتهج
ما أصاب الخير في مصر سوى ... ساقط في كل درك سمج(٩٨).

فالأبيات السابقة تقرير صريح لديستوبيا المجتمع الذي يسيطر عليه الفقر والذل والاضطهاد وإذلال السياسيين للشعب، فالتغيير الذي يأمله الشاعر يأتي بزحزحة كثير من القيم السلبية التي يقبع تحت وطأتها سواد المجتمع، الذي أُثقل كاهله بالفقر والخنوع واضطهاد السياسيين للشعب، فمثل هذه السلبيات تطغى على حياة الناس في المجتمع، التي

كان لها أثر كبير في استفحال عدد من العلل والآفات الاجتماعية، التي أزالت رونق الحياة وجمالها، يقول:

رب لا نشكو فكم من محن لم نجـــــد في كربها من مخرج
قد فضضنا سترها فانكشف من يرج في هجرة الهـــم يـــج[٩٩].

إنها ثقافة الذل والخضوع التي أثارت شاعرنا لأن يغضب ويثور في وجه مجتمـــع فاســد اختلت فيه الموازين، هذا الاختلال الذي ينتج عنه فقدان إنسانية الإنسان، فشاعرنا يـــدرك خطر هذا الفساد الذي يعشش في المجتمع، هذا الفساد الذي يجد طريقا سهلا للانتشار بين أوساط العامة؛ لذلك شاعرنا يقبل الموت ولا يرضى بحياة الـــذل والمهانـــة والخضـــوع، يقول:

مر الذي كان حلوا في فمي ودجـــــت في الليل والصبح بين الكون أنوار
فلا جمال ولا نـــــــور ولا متـــع ولا حياة بهـــا عيـــش وأعمـــار
كأننـــا فـــي وعيـــد الله تغمرنـــا حال من الخوف نخشى دونه النار
فما تغير شيء في الوجـــود عـــــدا نفس يحطمهـــا بـــــؤس وأكـــدار!
(١٠٠).

قد امتلأت نفس شاعرنا بالحزن والمرارة فتردت به في غياهب الشؤم، فخضع بضـــعف الإنسان إزاء قضائه المحتوم، وأن أي سبيل لتغيير الحياة في هذا المجتمع ضـــرب مـــن العبث، يقول:

بيني وبين الغنى خصام وفرقة ما لـــــها التئام
فإن تدانـــى إليّ يومـــا لرده عني الحمام! (١٠١).

الخاتمة

وأخيرا يتبين أن:

- الديب عاش في مجتمع ديستوبي استبد به، وأطبق عليه الخناق من كل صوب، نتيجة المتغيرات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية التي عاصرها، حيث شاهد مجتمع يسوده الفقر والتشرد والأنانية فضلا عن غياب رقابة الدولة على المؤسسات المجتمعية، بالإضافة إلى فساد السياسيين، وممارستهم كافة ألوان العنف ضد الشعب، وسيطرة الطمع والوصولية على الناس، كل هذه العوامل أثرت على نفسيته وجعلته ييأس من تغيير محيطه، فأصبحت صفتا الحزن والألم ملازمة لشخصه.
- الديستوبيا في شعر الديب برزت بشكل لافت للنظر، حيث عرض كثيرا من المتغيرات اليومية الواقعية بصورة جريئة؛ مما يدل على معاناته الشديدة من فوضى الواقع، من هنا سخّر الديب موهبته لصالح المجتمع؛ من أجل تخطي عقبات الواقع المرير.
- الديستوبيا في شعر الديب تجلت في أربعة عناصر رئيسة: الديستوبيا الاجتماعية، الديستوبيا السياسية، الديستوبيا الأخلاقية، الديستوبيا النفسية.
- شعر الديب تمحور حول الحزن والألم بسبب العجز عن مواجهة الديستوبيا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية.
- شعر الديب يقوم على الطبقية، وتنبأ أن مصر ستنقسم إلى طبقتين خلال سنوات قليلة.
- الديب لم يبالغ في عرض الملامح الديستوبية في شعره، فقد عرض قضايا مريرة يعيشها في الواقع.
- الديب لم يعط حلولا جوهرية لعلاج المتغيرات السياسية والاجتماعية والأخلاقية، إنما اكتفى بعرض آثارها، والتنبؤ بعواقبها المستقبلية.

- الديستوبيا الاجتماعية في شعر الديب تنوعت بين الفقر، والتشرد والتسول، وقطع صلة الأرحام.
- الديستوبيا السياسية في شعر الديب تناوبت بين غياب رقابة الدولة، وفساد قادة الدولة، وعنف الساسة ضد الشعب
- الديستوبيا الأخلاقية في شعر الديب انقسمت إلى الطمع والوصولية، الغيبة والنميمة والسخرية، البعد عن تعاليم الدين، البخل والمراء.
- الديستوبيا النفسية في شعر الديب تجلت في اليأس لعدم تحقق الآمال، والحزن والألم.
- شعر الديب جاء مرآة صافية لمجتمعيه ولخلجاته النفسية، فيصيح في وجه السياسيين المستبدين، وفي وجه شعبه الخامل الجاهل، لغضبه من واقع مدينته الفاسدة، وبالتالي أضحى شعره سجلا أدبيا لحياته، معبرا من خلاله عن الأزمات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والنفسية في مدينة القاهرة.
- الديب يخاطب الجمهور بأسلوب واضح يغلب عليه الإيجاز والتركيز، فشعره يخاطب النفس الإنسانية بأعمق المعاني كأنها نثر، فيفتتح القصيدة بالحكاية، ويفتتح الحكاية على القصيدة.
- الديب تغلغل في حياة أهالي القاهرة المهمشين، ليُظهر مجتمعا ديستوبيا مريرا، وهو واقع يمكن أن يعمم على جميع مناطق مصر.
- شعر الديب لا يزال في حاجة إلى المزيد من الدراسات الأدبية والنقدية، التي تستخرج سماته الفنية وظواهره الموضوعية.

الهوامش:

[١] - آن ماري توماس: روايات الخيال العلمي، ترجمة عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٢٧.
[٢] - خالد بلقاسم: الحكم على أدبية الديستوبيا، مجلة الدوحة ثقافية شهرية، العدد ١٤٨،وزارة الثقافة والرياضة، الدوحة، فبراير ٢٠٢٠، ص٢٥.
[٣] - إيمان تاور سارجنت: اليوتوبية، تحقيق ضياء ورّار، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٣٢، ٣٣.
[٤] - فاطمة برجكاني: الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثامنة، العدد التاسع والعشرون، ربيع ١٣٩٧/ آذار ٢٠١٨م، ص١٣٦.
[٥] - آن ماري توماس: مرجع سابق، ص ١٢٨.
[٦] - خالد بلقاسم: مرجع سابق، ص٢٦.
[٧] - محمد رضوان: اعترافات فيلسوف الصعاليك عبدالحميد الديب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٢١.
[٨] - طاهر أبو فاشا: الذين أدركتهم حرفة الأدب، دار الشروق، مصر، ١٩٨١م، ص١٠٣.
[٩] - محمد رضوان: اعترافات فيلسوف الصعاليك عبدالحميد الديب، مرجع سابق، ص٢١.
[١٠] - المرجع السابق: ص٢١.
[١١] - نفسه: ص٢١.
[١٢] - نفسه: ص٢٣.
[١٣] - عبدالرحمن عثمان: الشاعر البائس عبدالحميد الديب، مكتبة دار العروبة،د.ت، ص ١٩.
[١٤] - عصام عبدالفتاح: ديوان عبدالحميد الديب شاعر البؤس والشقاء، الطبعة الأولى، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة،د.ت ص٥٨
[١٥] - محمد رضوان: اعترافات فيلسوف الصعاليك عبدالحميد الديب، مرجع سابق، ص٢٩.
[١٦] - عبدالرحمن عثمان: الشاعر البائس عبدالحميد الديب،مرجع سابق، ص ٤١
[١٧] - محمد رضوان: مأساة شاعر البؤس، دار الهلال، ١٩٧٦م، ص ٩٥.
[١٨] - محمد رضوان: ديوان شاعر البؤس عبدالحميد الديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٠.
[١٩] - المرجع السابق: ص٥٥.
[٢٠] - عبدالرحمن عثمان: الشاعر البائس عبدالحميد الديب،مرجع سابق، ص٩.
[٢١] - الديوان: مرجع سابق، ص١٨.
[٢٢] - محمد رضوان: اعترافات فيلسوف الصعاليك عبدالحميد الديب، مرجع سابق، ص٧٣.
[٢٣] - الديوان: ص٦٨.
[٢٤] - نفسه: ص٦٨.
[٢٥] - نفسه: ص٤٤.

[٢٦] - نفسه: ص١٤.
[٢٧] - نفسه: ص١٧.
[٢٨] - أشرف سعد: عبدالحميد الديب اعترافات فيلسوف الصعاليك، مجلة أدب ونقد، ع ٣٩٦، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، ٢٠٢١، ص٤٢.
[٢٩] - عطية حفني عطية علي عطية: فن السخرية بين أبي دلامة وعبدالحميد الديب، مجلة كلية اللغة العربية، ع١٧، الزقازيق، ١٩٩٧م، ص٤٨٣.
[٣٠] - أشرف سعد: مرجع سابق ص٤٤.
[٣١] - الديوان: ص٥٠.
[٣٢] - نفسه: ص٢٠.
[٣٣] - نفسه: ص٢٥.
[٣٤] - نفسه: ص٣١.
[٣٥] - أشرف سعد: مرجع سابق، ص٤٣.
[٣٦] - الديوان: ص٣٨.
[٣٧] - نفسه: ص٤٢.
[٣٨] - نفسه: ص٣٨.
[٣٩] - عطية حفني عطية علي عطية: مرجع سابق، ص٤٧٥.
[٤٠] - طاهر أبو فاشا: مرجع سابق ص١٤١.
[٤١] - الديوان: ص٤٩.
[٤٢] - أشرف سعد: مرجع سابق، ص٤٣.
[٤٣] - عطية حفني عطية علي عطية: مرجع سابق، ص٤٨٤.
[٤٤] - الديوان: ص٥٧.
[٤٥] - فتحي الرملي: عبدالحميد الديب حياته وشعره، مطبعة وادي الملوك دار التعاون الصحفي، ١٩٤٤، ص٤٣.
[٤٦] - الديوان: ص٦١.
[٤٧] - نفسه: ص٧٠.
[٤٨] - نفسه: ص٩٣.
[٤٩] - نفسه: ص١٠٥.
[٥٠] - نفسه: ص٨٥.
[٥١] - عبدالرحمن عثمان: الشاعر عبدالحميد الديب حياته وفنه، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص ٢٨.
[٥٢] - الديوان: ص١١٠.
[٥٣] - نفسه: ص١٢٥.
[٥٤] - نفسه: ص١١٥.
[٥٥] - نفسه: ص٩٩.

[٥٦] - نفسه: ص١١٩.
[٥٧] - نفسه: ص١٣٥.
[٥٨] - نفسه: ص١٤١.
[٥٩] - نفسه: ص١٤٦.
[٦٠] - نفسه: ص١٥٤.
[٦١] - نفسه: ص١٣٩.
[٦٢] - نفسه: ص١٠٦.
[٦٣] - نفسه: ص١٥٦.
[٦٤] - نفسه: ص١٦٢.
[٦٥] - نفسه: ص١١٨.
[٦٦] - نفسه: ص١٦٣.
[٦٧] - نفسه: ص٥٧.
[٦٨] - نفسه: ص١٦٩.
[٦٩] - نفسه: ص١٧٢.
[٧٠] - نفسه: ص١٢٣.
[٧١] - طاهر أبو فاشا: مرجع سابق، ص129.
[٧٢] - الديوان: ص١٨٠.
[٧٣] - نفسه: ص١٤٢.
[٧٤] - نفسه: ص١٨٦.
[٧٥] - نفسه: ص٩٣.
[٧٦] - نفسه: ص١٥٨.
[٧٧] - نفسه: ص١٧٧.
[٧٨] - نفسه: ص١٩٢.
[٧٩] - نفسه: ص١٩٤.
[٨٠] - نفسه: ص٦٧.
[٨١] - أشرف سعد: مرجع سابق ص٤٤.
[٨٢] - الديوان: ص١١٨.
[٨٣] - نفسه: ص١٩٦.
[٨٤] - نفسه: ص١٩١.
[٨٥] - نفسه: ص٢٠١.
[٨٦] - نفسه: ص١٠٨.
[٨٧] - نفسه: ص٢٠٥.
[٨٨] - نفسه: ص٢٠٨.
[٨٩] - نفسه: ص٢١١.
[٩٠] - عطية حفني عطية علي عطية: مرجع سابق، ص482.

[٩١] - الديوان: ص٢٢٤.
[٩٢] - نفسه: ص١١٦.
[٩٣] - نفسه: ص٤٣.
[٩٤] - نفسه: ص٢٢٨.
[٩٥] - نفسه: ص٢١٥.
[٩٦] - نفسه: ص٢٠٧.
[٩٧] - نفسه: ص٢٣٥.
[٩٨] - نفسه: ص٢٠٩.
[٩٩] - نفسه: ص٢٢١.
[١٠٠] - نفسه: ص٢٢٥.
[١٠١] - نفسه: ص٢٣٦.

قائمة المصادر والمراجع

- آن ماري توماس: روايات الخيال العلمي، ترجمة عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- أشرف سعد: عبدالحميد الديب اعترافات فيلسوف الصعاليك، مجلة أدب ونقد، ع ٣٩٦، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، ٢٠٢١م.
- إيمان تاور سارجنت: اليوتوبية، تحقيق ضياء ورّار، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٦م.
- خالد بلقاسم: الحكم على أدبية الديستوبيا، مجلة الدوحة ثقافية شهرية، العدد ١٤٨،وزارة الثقافة والرياضة، الدوحة، فبراير ٢٠٢٠.
- طاهر أبو فاشا: الذين أدركتهم حرفة الأدب، دار الشروق، مصر، ١٩٨١م.
- عبدالرحمن عثمان: الشاعر البائس عبدالحميد الديب، مكتبة دار العروبة، د.ت.
- : الشاعر عبدالحميد الديب حياته وفنه، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- عصام عبدالفتاح: ديوان عبدالحميد الديب شاعر البؤس والشقاء، الطبعة الأولى، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، د.ت.
- عطية حفني عطية علي عطية: فن السخرية بين أبي دلامة وعبدالحميد الديب، مجلة كلية اللغة العربية، ع١٧، الزقازيق، ١٩٩٧م.
- فاطمة برجكاني: الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثامنة، العدد التاسع والعشرون، ربيع ١٣٩٧/ آذار ٢٠١٨م.
- فتحي الرملي: عبدالحميد الديب حياته وشعره، مطبعة وادي الملوك دار التعاون الصحفي، ١٩٤٤.
محمد رضوان: اعترافات فيلسوف الصعاليك عبدالحميد الديب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م.
- :مأساة شاعر البؤس، دار الهلال، ١٩٧٦م.
- :محمد رضوان: ديوان شاعر البؤس عبدالحميد الديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.